الفصل الأول

شرح مفردات البحث ، وظهور الإسلام على مسرح التاريخ

في بداية تناول هذا الموضوع ينبغي أن أقف على شرح مفردات عنوان البحث ، كما سأتحدث عن ظهور الإسلام على مسرح التاريخ ، وذلك من خلال ثلاثة مباحث :

المبحث الأول

شرح مفردات عنوان البحث

هذا المبحث يشتمل على خمسة مطالب وهي على النحو التالي :

المطلب الأول : تعريف معابر لغة واصطلاحاً :

أولاً : معابر لغة :

عبر الوادي وعبره، الأخيرة عن كراع: شاطئه وناحيته. وعبره يعبره عبرا وعبورا: قطعه من عبره إلى عبره، وعبر بفلان الماء وعبره به ، عن اللحياني. والمعبر: ما عبر به النهر من فلك ونحوه. والمعبر: الشط المهيأ للعبور.(١).

قوله في حديث الخضر وجد معابر صغارا أي مراكب يعبر فيها من صفة إلى أخرى (٢)

ثانياً: معابر اصطلاحاً:

المعابر هي السبل أو الطرق أو المنافذ التي يمر منها الناس سواء كانوا راكبين أو ماشين (٣).

المطلب الثاني : تعريف الثقافة لغة واصطلاحاً :

أولاً: الثقافة لغة :

"الثقافة": مصدر ثقف -بالضم- ككرم، وثقف كفرح، ثقفا، وثقفا، وثقافة: صار حاذقا فطنا، فهو ثقف. وامرأة ثقاف: فطنة.

وتستعمل هذه الكلمة كذلك في معنى: الظفر والغلبة، والأخذ في قوة، وفي معنى: المصادفة، والإدراك، والتسوية، والتقويم، والإصلاح، وفي معنى: الوجود. وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم بما يتضمن هذه المعاني؛ ومن ذلك:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ ﴿١٩١﴾﴾ البقرة: ١٩١ أي: ظفرتم بهم. قَالَ تَعَالَى: ﴿

---

١ - المحكم والمحيط الأعظم- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ] ج١٣٠/٢ ، المحقق: عبد الحميد هنداوي - الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

٢ - مشارق الأنوار على صحاح الآثار- عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ) ج٦٤/٢ ، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث.

٣ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور- إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) ج١٩٤/٩ ، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ الأنفال: ٥٧

أي أدركتموهم عند القتال. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ ﴾ الأحزاب:

أي: وجدوا. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾

أي: قدروا عليكم. هذا هو المفهوم اللغوي لكلمة "ثقافة".(٤) ... (٥) وورد [ثقف] : ثَقُفَ الرجل من باب ظرف صار حاذقا خفيفا فهو ثَقْفٌ مثل ضَخُم فهو ضَخْم ومنه المثاقَفَةُ ، و ثَقِفَ كعضد و الثِّقَافُ ما تسوى به الرماح و تثقيفُها تسويتها و ثَقِفَهُ من باب فهم (٦) . ومن هنا فالثقافة تعنى الحذق والتسوية ، والفهم الجيد .

ثانياً: الثقافة اصطلاحاً :

"الثقافة": مصطلح يستخدمه علماء الاجتماع للإشارة إلى طريقة الحياة الكلية لشعب من الشعوب. وقد تشير كلمة "ثقافة" في المحادثات اليومية إلى ضروب النشاط في مختلف الميادين. ويرى علماء الاجتماع أن ثقافة شعب من الشعوب تشتمل على: كل ما صنعه وابتدعه من الأفكار والأشياء، وطرائق العمل فيما يصنعه ويوجده. فالثقافة تشتمل على المعتقدات، والأعراف، والتقاليد، واللغة، والاختراعات، والآداب، والفنون ، والثقافة ليست فطرية في الإنسان، ولا موروثة؛ وإنما يكتسبها بالتعلم والتزود بأنواع المعارف، والممارسة والمحاكاة، والتجارب والأسفار.(٧). ، والثقافة هي المعبر الحقيقي عما وصلت إليه البشرية من تقدم فكري ، فمن خلالها يتم رسم المفاهيم والتصورات كما يتم رسم القيم و السلوك .

و قد ارتبطت الثقافة بالوجود الإنساني ارتباطاً متلازماً تطوراً مع الحياة الإنسانية وفقاً لما يقدمه الإنسان من إبداع و إنتاج في شتى المجالات ، فالثقافة هي :

"المنظومة المعقدة و المتشابكة التي تتضمن اللغات و المعتقدات و المعارف و الفنون و التعليمات و القوانين و الدساتير و المعايير الخلقية و القيم و الأعراف ،العادات و التقاليد الاجتماعية و المهارات التي يمتلكها أفراد مجتمع معين" (٨)

وكلمة ثقافة لها أبعاد كبرى ، ودلالات كثيرة وإيحاءات متعددة ، وتعنى فى إطارها العام آفاقاً ومستويات تتعلق بالفكر والسلوك والنظم والعلائق الإنسانية ونحوها .. (٩) .

إن الثقافة –بمدلولها العام الشائع– كلمة جديدة لا تتصل بالمدلول اللغوي الذي ذكرته معاجمنا العربية إلا على ضروب من التأويل والمجاز، لا تستقيم في كل الأحوال التي تستعمل فيها كلمة "ثقافة"؛ فهي تعني في أكثر الاستعمالات اللغوية: "الحذق والفطنة، وسرعة أخذ العلم وفهمه،

---

٤ - القاموس المحيط" ج٣/ ١٦٢، حرف الفاء .

٥ - أصول الدعوة وطرقها ٢- كود المادة: IDWH3023- المرحلة: بكالوريوس - مناهج جامعة المدينة العالمية – ج١/٥٤-٥٥ ، الناشر: جامعة المدينة العالمية .

٦ - مختار الصحاح / للرازى ، ج١/ طبعة جديدة ٦٠ ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م الناشر : مكتبة لبنان ناشرون – بيروت .

٧ - أصول الدعوة وطرقها ٢- كود المادة: IDWH3023- المرحلة: بكالوريوس - مناهج جامعة المدينة العالمية – ج١/٥٤-٥٥ ، الناشر: جامعة المدينة العالمية .

٨ - سلسلة إضاءات تربوية - العدد الثامن: الثقافة : سباق الورقة و الشاشة - رضا ، أنور طاهر ، ص ٢٦.

٩ - لمحات فى الثقافة الإسلامية - عمر عودة الخطيب ص ٢٢ ط١٤٠١/٧هـ ١٩٨١م ، مؤسسة الرسالة بيروت .

وتقويم المعوجّ من الأشياء".(١٠)

وقد أصبحت كلمة الثقافة فى الاصطلاح العرفى فى العربية وغيرها تفيد معنى ما يكتسبه الإنسان من ضروب المعرفة النظرية ، والخبرة العملية التى تحدد طريقته فى التفكير ، ومواقفه فى مختلف طرق الحياة من أي جهة حصلت تلك المعرفة وتلك الخبرة ، سواء كانت من البيئة والمحيط والمدرسة ، والمهنة أم من طرق أخرى غيرها (١١)

وقد استعمل العرب مادة "ثقف" في عدة معانٍ ، منها ما هو معنوي ، مثل :الحذق، والفطنة، والذكاء، وسرعة التعلم، وضبط المعرفة، ومنها ما هو حسي ، مثل :تقويم الشيء المعوج، والتسوية، والظفر بالشيء والحصول عليه(١٢).

أما عند الغرب فقد كانت دلالة الأصل اللاتيني لكلمة الثقافة مقصورة على تنمية الأرض ومحصولاتها ، وفي أوائل العصور الحديثة بدأت الكلمة تستعمل بمدلوليها المادي الحسي والمعنوي العقلي(١٣) إذا أردنا أن نُعرِّف الثقافة في الاصطلاح فإن أنسب تعريف لها هو: تعريف المجمع اللغوي الذي عرَّفَها بقوله: **"جملة العلوم ، والمعارف ، والفنون التي يُطلبُ الحِذقُ فيها "** (١٤). وقد تعددت تعريفات الثقافة الإسلامية للأسباب الآتية : (١٥) :

١. **أن كلمة الثقافة ذات أبعاد كبيرة ، ودلالات واسعة .**
٢. **أن كلمة الثقافة من الألفاظ المعنوية التي يصعب تحديدها .**
٣. **أن كلمة الثقافة مصطلح حديث .**

ولهذا تعددت اجتهادات العلماء والمفكرين والباحثين حول هذا المصطلح .وبينوا أن أقرب تعريف للثقافة الإسلامية هو: **"معرفة مقومات الأمة الإسلامية العامة بتفاعلاتها في الماضي والحاضر، من دين، ولغة، وتاريخ، وحضارة، وقيم، وأهداف مشتركة بصورة واعية هادفة "** (١٦).

المطلب الثالث: تعريف الغرب لغة واصطلاحاً :

أولاً: الغرب لغة:

غ ر ب: (الغربة الاغتراب) تقول: (تغرب) و (اغترب) بمعنى فهو (غريب) و (غرب) بضمتين والجمع (الغرباء) . والغرباء أيضا الأباعد. و (اغترب) فلان إذا تزوج إلى غير أقاربه. وفي الحديث: «اغتربوا لا تضووا».(١٧) ، قال معاذ هم أهل الشام فحمله على أنه غرب الأرض خلاف الشرق والشام غرب من الحجاز

---

١٠ - لمحات في الثقافة الإسلامية - ص ٢٣ .
١١ - المصدر السابق ، ص ٢٨ ، نقلاً عن : محاضرة للأستاذ/ محمد المبارك بعنوان " سلطان الثقافة الغربية على الفكر الإسلامي المعاصر " .
١٢ - لسان العرب، ابن منظور، بيروت: دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، ط٣، د.ت، جـ٢/ص١١١-١١٢.
١٣ - في معركة الحضارة- قسطنطين زريق - ص ٣٣ - ط١٩٦٤/١- دار العلم للملايين . بيروت .
١٤ - المعجم الوسيط- إبراهيم مصطفى وآخرون – ج١/ ٩٨. ط / دار الدعوة، استانبول.
١٥ - مقدمات في الثقافة الإسلامية - مفرح بن سليمان القوسي- ص٢٧. ط٣/ ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م الرياض: دار الصميعي .
١٦ - أضواء على الثقافة الاسلامية - الدكتورة نادية شريف العمري ، ج١/١٤-١٥ ، الناشر: مؤسسة الرسالة - الطبعة: التاسعة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م. وقد أخذت بعض هذه النقول من :" ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة للدكتور عبد الحليم عويس ص ١٦. ، والحضارة للدكتور حسين مؤنس ص٣٦٩. ، وكتاب ركائز علم الاجتماع ، ١٦٢.
١٧ - مختار الصحاح - زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) ج١/٢٢٥ ، المحقق: يوسف الشيخ محمد - الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا- الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

وقال غيره هم أهل الشام وما وراءه وقيل المراد هنا أهل الحدة والاستنصار في الجهاد ونصرة دين الله والغرب الحدة وقولها وأحرز غربه منه أي دلوه الموصوفة وقوله هل من مغربة خبر قال أبو عبيد يقال بكسر الراء وفتحها وأصله من الغرب وهو البعد. (١٨)

ثانياً : تعريف الغرب اصطلاحاً: مصطلح العالم الغربي بشكل عام إلى دول الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة وكندا وأستراليا ونيوزيلندا وأوروباالوسطى وأميركاالاتينية وإسرائيل وجنوب أفريقيا.(١٩).

المبحث الثاني

ظهور الإسلام على مسرح التاريخ

هذا المبحث يشتمل على عدة مطالب تتلخص فيما يأتي :

المطلب الأول : البعثة النبوية .

في سن الأربعين أوحي الله إلى نبينا محمد – ﷺ–، فنزل عليه الوحي في غار حراء بالرسالة السماوية الخالدة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "أنزل على النبي – ﷺ– وهو ابن أربعين، وكان بمكة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة عشرًا، فمات وهو ابن ثلاث وستين" خديجة، فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء. فجاءه الملك، فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني (٢٠) حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني، :قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾ العلق: ١ - ٥

فرجع بها رسول الله – ﷺ– يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: زملوني (٢١)، زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع (٢٢)، فقال لخديجة، وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي.فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلَّ (٢٣)، وتكسب المعدوم (٢٤)، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق (٢٥)، فانطلقت به خديجة، حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، فيكتب الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك ، قال ورقة: يا ابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره النبي ﷺ خبر ما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا، ذكر حرفا، قال رسول الله ﷺ: «أومخرجي هم؟» قال ورقة: نعم، لم يأت رجل بما جئت به إلا أوذي، وإن يدركني

---

١٨ - مشارق الأنوار على صحاح الآثار- عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ) ج١٣٠/٢ ، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث.

١٩ - موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة r.wikipedia.org/wiki/ ٥ ديسمبر ٢٠١٣.

٢٠ - غطني: عصرني وضمني، الجهد: المشقة.

٢١ - زملوني: غطوني بالثياب ولفوني بها.

٢٢ - الروع : الخوف.

٢٣ - تحمل الكل: تنفق على الضعيف واليتيم والعيال، والكل: أصله الثقل والإعياء.

٢٤ - تكسب المعدوم: تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك من نفائس الفوائد ومكارم الأخلاق.

٢٥ - تعين على نوائب الحق: أنك لا يصيبك مكروه لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق وكرم الشمائل.

يومك حيا أنصرك نصرا مؤزرا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي فترة، حتى حزن رسول الله ﷺ..)(٢٦)... (٢٧)

ومن هنا نعلم أنه (لما بلغ رسول الله ﷺ الأربعين من عمره المبارك نبأه الله، وأوحى إليه، وكان ذلك في ربيع الأول ، وكان أول ما بدئ به النبي من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا تحقق صدقها، ورؤيا الأنبياء وحي، وقد مكث على هذه الحال ستة أشهر حتى نزل عليه جبريل الأمين بالوحي القرآني، وذلك في السابع عشر من رمضان من هذا العام على ما عليه المحققون من العلماء، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ ﴾ الأنفال: ٤١

وكان التقاء الجمعين في بدر في السابع عشر من رمضان من السنة الثانية للهجرة بالإجماع.(٢٨) . وهذا رأي آخر ، لكن ما عليه الكثير من العلماء والمشهور عندهم ، أنه كان في ربيع الأول والله أعلم.

المطلب الثاني : عصر البعثة النبوية .

لا مراء في أن عصر البعثة النبوية عصر ممتاز بين الأعصر الزمنية له في علم الله ميعاد معلوم كسر من أسرار الغيب، حتى يأذن الله بإنزال رسالته على عبده المختار. (ولوددت لو يتسع للقول مجال للحديث عن خصائص عصر النبوة، لكن الوقت يضيق عن هذا القصد. حتى الحديث الفائض عن عصر البعثة المحمدية يزيد على حظنا من الوقت. ومن ثم أجتزئ بالكلام عن العام الذي ولد فيه رسول الله ﷺ لعلنا نظفر بفائدة وحكمه) .(٢٩) ، فليس من شك إذن أن الله يختار للنبي عصره، ويؤقت له: ميلاده، ومبعثه، ووفاته. ولقد قال تعالى لموسى عليه السلام بعد أن ذكره بأطوار ماضيه وكلاءته له فيه ، قال تعالى:﴿ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ طه: ٤٠

وكذلك فإن ميلاد محمد ﷺ على قدر وموعد إلهي مع الزمان، وكان عام الفيل الذي ولد فيه عاما حافلا في تاريخ الإنسانية، عاما مليئا بالأحداث الضخام. أقبل فيه أبرهة الأشرم يريد هدم الكعبة بعد أن نجح الأحباش في احتلال اليمن. وكان أبرهة قائداً جلدا طموحا بعيد الأهداف، قد أزمع أن يجعل من اليمن قاعدة ملك له تنطلق منها عساكره للسيطرة على جزيرة العرب سيطرة سياسية وعسكرية واقتصادية، وأن يشد إليه قبائل العرب المتنافرة المتدابرة بخيوط وأوتار يحركها ويضرب عليها كيفما شاء. وأعمل أبرهة الفكر وكان ذا نظرة استعمارية داهية، لا يعوزها شيء من حنكة المتخصصين باستعمار الشعوب في العصر الحديث، فصمم خطته لتحويل العرب تحويلا دينيا يجعل الطريق أمامه معبدا ذللا لتحقيق أغراضه الاستعمارية. وهو أمر لا يختلف عن الغزو الفكري وأهدافه الذي

---

٢٦ - الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - ﷺ - وسننه وأيامه - صحيح البخاري- محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي – ج١٧٣/٦ ، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر- الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٧ - صحيح السيرة النبوية- إبراهيم بن محمد بن حسين العلي الشبلي الجنيني - المتوفى: ١٤٢٥هـ) ج٤٩/١-٥٠ - تقديم: د. عمر سليمان الأشقر- راجعه: د. همام سعيد - الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن - الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٢٨ - السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة - محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ) ج٢٥٩/١ ، الناشر: دار القلم – دمشق - الطبعة: الثامنة - ١٤٢٧ هـ .

٢٩ - النبوة: اصطفاء وقدوة (السنة ٣٣ - العدد ١١٣) أحمد مختار البزرة – ج١٠/١، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- الطبعة: السنة الثانية - العدد الثالث، محرم ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

يستهدف العرب والمسلمين اليوم. وكان أبرهة نصرانيا فأراد حمل العرب على اعتناق النصرانية بالمكر والسيف، فكان صاحب أول حمله صليبيه في التاريخ على بلاد العرب. وهذا ما أدركه العرب واضحا. (٣٠)

ومن فضل الله تعالى أن مدة البعثة النبوية في مكة والمدينة نالت اهتمام أصحاب رسول الله ﷺ، والسلف الصالح من بعدهم، حيث وجد الرواة، والمحدثون، والمفسرون والفقهاء، وغيرهم يبذلون الجهد من أجل صيانة التراث الإسلامي كله، وبذلك كان حفظ أحداث مرحلة البعثة النبوية، وأحداث تاريخ الدعوة إلى الله تعالى.

إن معايشة مصادر هذه المرحلة تحتاج إلى العقل والفهم، والتحليل والاستنباط، وقوة الوعي وسرعة الإدراك، حتى لا يقع صاحب هذه المعايشة في الإسرائيليات، والأكاذيب التي وضعها أعداء الإسلام مع شروح المصادر الإسلامية.(٣١)

وفي أيام البعثة النبوية كانت علاقة مكة مع الحبشة علاقة وطيدة، وكان تجار قريش على صلة دائمة وعلاقات طيبة مع هذه البلاد وعلى معرفة أحوالها؛ الأمر الذي جعل النبي - ﷺ- يفكر أول ما يفكر في الحبشة حين اضطر إلى أن يشير على أصحابه بالهجرة، فهاجروا إليها ووجدوا فيها ملجأ وحماية، وفي حسن استقبال هؤلاء المهاجرين ورعايتهم، وفي إرسال قريش سفارة قابلت النجاشي وفاوضته في رد هؤلاء المهاجرين ما يدل على أن العلاقة كانت وطيدة بين البلدين. وقد ظلت العلاقات الطيبة قائمة بينهما بعد ذلك مدة طويلة.

ولا بد أن صلة مكة التجارية بالجنوب قد ازدادت بعد قفل طريقها الشمالي إلى الشام بعد هجرة النبي - ﷺ إلى يثرب ودخوله في صراع مع قريش، فإن بلدًا مثل مكة لا يقوى على عدم المتاجرة وإلا أكل رءوس أمواله وهدد بالخراب.(٣٢).

المطلب الثالث : الجاليات الأجنبية.

في كتب التاريخ والسير وأسماء الصحابة عدد غير قليل من الأجانب الذين كانوا في مكة في فترة البعثة النبوية، منهم من كان مملوكًا ومنهم من كان حرًّا؛ فإنه لمركز مكة ونشاطها التجاري وصلاتها الواسعة بالشمال والجنوب توافد عليها كثير من التجار من الخارج من بلاد الشام ومن الروم والفرس وغيرهم، ساكَنوا المكيين وتحالفوا مع أثر يائهم، وقد دخل بعضهم في الإسلام من أمثال تميم الداري وكيسان (٣٣).

وكان منهم أصحاب صناعات وحرف كانوا يعملون لحساب أهل مكة أحيانًا ولحسابهم أحيانًا أخرى، ومنهم من كان ذا معرفة متميزة في ثقافته الدينية، ولا يستبعد أن يكون بينهم جماعة من المبشرين.

وتشير الآيات القرآنية الكثيرة إلى وجود عدد من الأجانب في مكة وإلى ديانة هؤلاء الأجانب

---

٣٠ - المصدر السابق ، ج١٠/١

٣١ - السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني- أحمد أحمد غلوش ، ج١٥/١ ، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.

٣٢ - مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ- أحمد إبراهيم الشريف ، ج١٣٧/١ ، الناشر: دار الفكر العربي.

٣٣ - أسد الغابة ٤/ ٢٥٨- ٢٥٩، ٥/ ١٤٥. الأزرقي ١/ ٣٥٨. وانظر: على هامش السيرة لطه حسين.

على أنهم من أهل الكتاب، وأهل الكتاب هم النصارى واليهود.(٣٤).

وتظهر الجاليات الأجنبية في صحيفة المدينة (الدستور الإسلامي):

قال ابن سحاق:(وكتب رسول الله ﷺ كتابا بين المهاجرين والأنصار، **وادع فيه يهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم**).(بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم، وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس. المهاجرون من قريش على ربعتهم (٣٥) يتعاقلون (٣٦) بينهم، وهم يفدون عانيهم (٣٧) بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، كل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف، والقسط بين المؤمنين. وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، كل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف، والقسط بين المؤمنين. وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، كل طائفة منهم تفدي عانيها المعروف، والقسط بين المؤمنين. وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، كل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف، والقسط بين المؤمنين. وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، كل طائفة منهم تفدي عانيها بالعروف، والقسط بين المؤمنين. وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، كل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف، والقسط بين المؤمنين. وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، كل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف، والقسط بين المؤمنين. وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، كل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف، والقسط بين المؤمنين. وإن المؤمنين لا يتركون مفرحا (٣٨) بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل. وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه، وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة (٣٩) ظلم أو إثم أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعا، ولو كان ولد أحدهم، ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر، ولا ينصر كافرا على مؤمن، وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم، وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس، وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم، وإن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم. وإن كل غاية غزت معنا يعقب بعضها بعضا. وإن المؤمنين يبيء (٤٠) بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله. وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدي وأقومه، وإنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا، ولا يحول دونه على مؤمن، وإنه من اعتبط (٤١) مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود (٤٢) به، إلا من يرضي ولي المقتول. وإن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا قيام عليه. وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر أن آثم، وإنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم وإن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله ﷺ)) (٤٣) (٤٤).

---

٣٤ - مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ- أحمد إبراهيم الشريف ، ج١/١٩٥ ، الناشر: دار الفكر العربي .
٣٥ - الربعة: الحال التي جاء الإسلام وهم عليها.
٣٦ - المعاقل: الديات.
٣٧ - العاني: الأسير.
٣٨ - المفرح: المثقل بالدين الكثير العيال.
٣٩ - الدسيعة: العظيمة وهي في الأصل ما يخرج من حلق البعير إذا رعنا. ويراد به هاهنا ما ينال عنهم من ظلم.
٤٠ - يبيء بعضهم على بعض: يرجع بعضهم على بعض.
٤١ - اعتبطه: أي قتله بلا جناية.
٤٢ - قود به: مقتول به.
٤٣ - السنن الكبرى- أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) ج٨/١٨٤ - المحقق: محمد عبد القادر عطا- الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات - الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

المبحث الثالث

حرص الإسلام على نشر العلم والثقافة

لقد حرص الإسلام على نشر العلم والثقافة ، وجعل ذلك من أهدافه ، والملاحظ أن المجتمعات الإنسانية كلها في الشرق والغرب، تتخذ نشرَ الثقافة ونقلها بين الأجيال هدفًا أساسيًّا في نظامها التربوي، والإسلام دعا أول ما دعا إلى جعل التعليم فريضة على كل مسلم رجلًا كان أو امرأة، فالتعليم كما هو هدف فهو وسيلة إلى الهدفين السابقين – أعني: إخلاص العبادة لله، وتربية الأخلاق– لا شك أن هذا الهدف السامي النبيل ألا وهو نشر العلم والثقافة هدف نبيل أيضًا، ووسيلة إلى تحقيق الهدفين السابقين، ووسيلة أيضًا لفهم الحقائق الاجتماعية والسياسية والروحية.

فقد كانت الأمة الإسلامية كلها أول الأمر في مدرسة واحدة، هي مدرسة محمد –صلوات الله وسلامه عليه– التي كانت تعلم وتثقف، وترسل الدعاة والمعلمين، وتفتدى الأسرى إذا ساهموا في نشر التعليم، ويحث المتعلمين على القيام بواجب التعليم والتثقيف، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم؛ لعلهم يحذرون، وقال الرسول –ﷺ– لمعاذ: ((**لئن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حُمْر النَّعم**)).(٤٥).

والقرآن يحث على طلب العلم والسعي في سبيله، قال تعالى:﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ التوبة: ١٢٢ وقال– تبارك وتعالى–:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

---

٤٤ - أسهب الدكتور أكرم العمري - حفظه الله - في الحديث عن صحة هذه الوثيقة، وتفنيد ادعاء وضعها، نأخذ منه المقتطفات التالية: ونظرا لأهمية الوثيقة التشريعية إلى جانب أهميتها التاريخية، فلا بد من تحكيم مقاييس أهل الحديث فيها لبيان درجة قوتها أو ضعفها، وما ينبغي أن يتساهل فيها كما يفعل مع الروايات والأخبار التاريخية الأخرى، إن أقدم من أورد نص الوثيقة كاملا هو محمد بن إسحاق (ت ١٥١ هـ) لكنه أوردها بدون إسناد. وقد صرح بنقلها عنه كل من ابن سيد الناس وابن كثير، فوردت عندهما دون إسناد أيضا. وقد ذكر البيهقي إسناد ابن إسحاق للوثيقة التي تحدد العلاقات بين المهاجرين والأنصار دون البنود التي تتعلق باليهود. لذلك لا يمكن الجزم بأنه أخذها من نفس هذه الطريق أيضا. وقد ذكر ابن سيد الناس أن ابن أبي خيثمة أورد الكتاب (الوثيقة) فأسنده بهذا الإسناد (حدثنا أحمد بن خباب أبو الوليد حدثنا عيسى بن يوسف حدثنا كثير بن عبد الله بن عمرو المزني عن أبيه عن جده: أن رسول الله ﷺ كتب كتابا بين المهاجرين والأنصار فذكر بنحوه، ولكن يبدو أو الوثيقة وردت في القسم المفقود من تاريخ ابن أبي خيثمة. إذ لا وجود لها فيما وصل إلينا منه، كذلك وردت الوثيقة في كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام بإسناد آخر هو (حدثني يحيى بن عبد الله بن بكير وعبد الله بن صالح قالا حدثنا الليث بن سعد قال: حدثني عقيل بن خالد عن ابن شهاب أنه قال: بلغني أن رسول الله (ص) كتب بهذا الكتاب ...) وسرده. كما وردت الوثيقة في كتاب الأموال لابن زنجويه عن طريق الزهري أيضا .. وبذلك يتبين أن الحكم بوضع الوثيقة مجازفة، ولكن الوثيقة بمجموعها لا ترقى إلى مرتبة الأحاديث الصحيحة، فابن إسحاق في سيرته رواها دون إسناد مما يجعل روايته ضعيفة، وأوردها البيهقي عن طريق ابن إسحاق أيضا بإسناد فيه سعد بن المنذر وهو مقبول فقط. وابن أبي خيثمة أوردها من طريق كثير المزني وهو يروي الموضوعات، وأبو عبيد القاسم بن سلام رواها بإسناد منقطع يقف عند الزهري وهو من صغار التابعين فلا يحتج بمراسيله.

ولكن نصوصا من الوثيقة وردت في كتب الأحاديث بأسانيد متصلة وبعضها أوردها البخاري ومسلم فهذه النصوص هي من الحديث الصحيح، وقد احتج بها الفقهاء وبنوا عليها أحكامهم كما أن بعضها ورد في مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود وابن ماجة والترمذي. وهذه النصوص جاءت من طرق مستقلة عن الطرق التي ودرت منها الوثيقة وإذا كانت الوثيقة بمجموعها لا تصلح للاحتجاج بها في الأحكام الشرعية، سوى ما ورد منها في كتب الحديث الصحيح. فإنها تصلح للدراسة التاريخية التي لا تتطلب درجة الصحة التي تقتضيها الأحكام الشرعية، خاصة وأن الوثيقة وردت من طرق عديدة وتتضافر في إكسابها القوة. كما وأن الزهري علم كبير من الرواد الأوائل في كتابه السيرة النبوية. ثم إن أهم كتب السيرة ومصادر التاريخ ذكرت موادعة النبي ﷺ لليهود وكتابته بينه وبينهم كتابا، كما ذكرت كتابا بين المهاجرين والأنصار أيضا). انظر المجتمع النبوي في عهد النبوة ص ١٠٨ - ١١١.

فقه السيرة النبوية - منير محمد الغضبان (المتوفى: ١٤٣٥هـ) ج٣٦٧/١ ، وما بعدها - الناشر: جامعة أم القرى - الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ م. وقد نقل عن : أكرم العمري وسجل ذلك في الهامش ونقلته لفائدته.

٤٥ - الزهد والرقائق لابن المبارك (يليه «مَا رَوَاهُ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ فِي نُسْخَتِهِ زَائِدًا عَلَى مَا رَوَاهُ الْمَرْوَزِيُّ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ») أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي (المتوفى: ١٨١هـ) ج٤٨٤/١ - المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي- الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

النحل: ٤٣ (٤٦).

وقد ورد عن الرسول -ﷺ-: ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ))(٤٧) وقال: ((إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم؛ رضا بما يصنع)) (٤٨) وكلنا نعلم مكانة العلماء، فهم الذين يحققون أسبابَ وجودهم في الحياة، قال تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾فاطر: ٢٨ وقال -جل ذكره-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ المجادلة: ١١

وقد ذكر الله -عز وجل- العلماء بعده وبعد الملائكة؛ تشريفًا وإجلالًا، فقال سبحانه: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ آل عمران: ١٨

والعلماء هم ورثة الأنبياء، يستغفر لهم ما في السموات والأرض، وتشتغل الملائكة بالاستغفار لهم، وهم مفضلون على العباد. وفي الآثار قال أبو الأسود الدؤلي: ليس بشيء أعز من العلم، الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك(٤٩).(٥٠).

فضل معلم العلم :

والدليل على فضل المعلم عند الله ، أن الله سبحانه وتعالى عده عالماً بعد ذكر بعض المعارف الإنسانية والكونية فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ ﴾فاطر: ٢٧ .

وهذه الكلمات من كتاب الله جمعت فنوناً من العلم يقوم بتدريسها معلمون فى مؤسسات تعليمية مختلفة ، فتكلمت عن علم الفلك والفيزياء والأحياء ، وعن علم الزراعة ، وعن علم الجيولوجيا ، وعن علم الأجناس البشرية وعن علم الحيوان ، وكل هذه العلوم لها مدارس ومعاهد وكليات لمعرفتها والوصول إلى ماهيتها ..

وكل معلم لفن من هذه الفنون من خلال دراسته يتوصل إلى قدرة الله فى صنعه ، وإلى عظمته فى خلقه ، والتدبر فى القرآن الكريم ، الكتاب المعجز يجعل المعلم عالماً يخشى الله تعالى ويقدره قدره ،

---

٤٦ - أصول الدعوة وطرقها ٤كود المادة: IDWH4043 المرحلة: بكالوريوس ، المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية ، ج٢٥٥/١ ، الناشر: جامعة المدينة العالمية .

٤٧ - مسند الإمام أحمد بن حنبل- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) ج٦٦/١٤ - المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون-إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي-الناشر: مؤسسة الرسالة - الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م. قال المحقق : إسناده صحيح على شرط البخاري. أبو بكر: هو ابن عياش، والأعمش: هو سليمان بن مهران، وأبو صالح: هو ذكوان السمان.

٤٨ - الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان- محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) ج١٤٨/٤ - ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط - الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٤٩ - العلمانية والمذهب المالكي- أبو سفيان مصطفى باحُّو السلاوي المغربي،ج٢٥/١-الناشر: جريدة السبيل، المغرب-الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م. و الكشف والبيان عن تفسير القرآن- المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ) ج٣٣٤/٣ - تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور- مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي -الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان - الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م. و البحر المديد في تفسير القرآن المجيد- أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)ج٥١٩/١- المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان- الناشر: الدكتور حسن عباس زكي– القاهرة- الطبعة: ١٤١٩هـ.

٥٠ - أصول الدعوة وطرقها ٤كود المادة: IDWH4043 المرحلة: بكالوريوس ، مناهج جامعة المدينة العالمية ، ج٢٥٦/١ ، الناشر: جامعة المدينة العالمية .

وهذه منزلة عظيمة للمعلم ما بعدها منزلة ..

والأحاديث النبوية أيضاً أشارت إلى فضل المعلم ، قال -ﷺ : ((**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**)) (٥١)، فخير الناس هم الذين تعلموا القرآن الكريم ، حيث أصبحوا من أهل الله وخاصته ، ويزداد شرفهم وفضلهم إذا علّموا القرآن لغيرهم ، ودخلوا فى سلسلة تواتر القرآن من جبريل للرسول ، ومن الرسول للصحابة .. حتى وصلنا ، وسيصل إن شاء الله إلى غيرنا ، حتى يوم القيامة .

كما تبين شرف معلم القرآن وأى علم ينفع الأمة ، وفيه خير لها لقول النبى -ﷺ : ((**إن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم ، وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء** ..)) (٥٢)، فكل خير يعود أثره الطيب على الأمة الإسلامية له فضل عظيم كتعليم الإنسان لجاره لقوله -ﷺ : ((**ما بال أقوام لا يعلمون جيرانهم ولا يفقهونهم**)) (٥٣)، كما يدخل فى ذلك تعليم الرجل ولده شعائر الإسلام كالصلاة مثلاً : ((**علموا أولادكم الصلاة وهم أبناء سبع ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع**)) (٥٤)، وكذلك تعليم الإبن الأدب لقوله -ﷺ : ((**لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع**)) (٥٥)، وهذا أفضل شئ يناله الإبن من أبيه لقوله -ﷺ : ((**ما نحل والد ولداً أفضل من أدب حسن**)) (٥٦) .

ويكفى المعلم فضلاً وشرفاً أنه يقوم بوظيفة الأنبياء والمرسلين ، وحسبه فى هذا ما قام به النبى -ﷺ- من تعليم وتربية للأمة الإسلامية ، وبدأ المنهج النبوى للتربية والتعليم من دار الأرقم ابن أبى الأرقم ، وقد تخرج منها كبار الصحابة كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وحمزة وغيرهم وقد نوروا الدنيا كلها بنور الإسلام الذى جاء بعلوم الدين والدنيا معاً .

لقد علم النبى -ﷺ- العرب فنقلهم من عبادة الأصنام والأوثان إلى عبادة الله وحده ، ومن رعاة للغنم فحسب إلى قادة للأمم (لقد جاءهم رسول الله بما لا يعرفونه ، فذووا العقول السليمة بادروا إلى التصديق وخلع الأوثان ، ومن أعمته الرياسة أدبر واستكبر كيلا تسلب منه عظمته - كما فى زعمه - وكان أول من سطع عليه الإسلام خديجة زوجه ، وعلى بن أبى طالب ابن عمه .. وزيد بن حارثة .. وغيرهم) (٥٧) .

والمعلم تعمه السعادة إذا وجد غرسه قد نمى وأثمر وامتد أثره على المجتمع فانعكس التزاماً ورقياً وحضارة نابعة من علوم الإسلام التى يدرسها المعلمون الشرفاء ..

إن (هذا الإجلال والتكريم للمعلمين لا يمكن أن يدركوه فى أى دين غير دين الإسلام ، وهذا التكريم الإسلامي للمعلم يجعله جديراً ليكون مثلاً عالياً فى دينه وسلوكه وكفاحه واجتهاده

٥١- صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، ج١٩٢/٦ ، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر- الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ ، وأورده النووى فى رياض الصالحين ص ٢٤٧ كتاب الفضائل ، باب فضل قراءة القرآن ، وقال : رواه البخارى ، مطبعة الأنوار المحمدية .

٥٢- أخرجه الترمذى ج٥ / ٤٨ كتاب العلم باب ما جاء فى فضل الفقه على العبادة ، رقم الحديث ٢٦٨٢ قال الترمذى حسن ط ٢ / ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م مصطفى البابى الحلبى . وأخرجه أبو داود ج٣ / ٣١٧ ، كتاب العلم باب الحث على طلب العلم رقم ٣٦٤١ ، ط١٣٨٩/١هـ/١٩٦٩-١٩٧٠م دار الحديث للنشر والتوزيع .

٥٣- أورده السيوطى فى الدر المنثور ج٣ / ١٢٥ ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .

٥٤- أورده السيوطى فى الدر المنثور ج١ / ٧١٧ .

٥٥- أخرجه الترمذى ج٤ / ٣٣٧ ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء من أدب الولد ، رقم ١٩٥١ ، وقال : حديث غريب

٥٦- أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ج٣ / ٤١٢ ، ط / دار الفكر ، وأخرجه الحاكم فى المستدرك ج ٤ / ٢٦٣ كتاب الأدب ، باب فضل تأديب الأولاد وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ط / دار الفكر .

٥٧- نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين للشيخ محمد الخضرى ص٢٥ ، طبعة عام ١٩٨٨م ، دار الكتاب الحديث ، الكويت

وإخلاصه وصلاحه ونجاحه وفلاحه .. والمعلم الذى يصل إلى هذه الدرجة من أفضل المعلمين على الإطلاق .. لأنه جعل هدفه الإسلام وتبليغه بإخلاص إلى الدارسين لعلومه ..) (٥٨) . ويزداد المعلم رفعة إذا توفرت لديه الدعائم والأسس للمنهج التربوى الذى علمنا إياه النبى -ﷺ- .

المبحث الرابع

انتشار الإسلام عبر الفتوحات

لقد انتشر الإسلام عبر الفتوحات الإسلامية لا سيما الفتوحات التي كانت في عهد الخلفاء الراشدين (١١ هـ/ ٦٣٢ م- ٤٠ هـ/ ٦٦١ م) ، ثم عهد الدولة الأموية ، وعهد الدولة العباسية ، ثم عهد الدولة العثمانية . وكان أفضل عهود الدعوة الإسلامية بعد عهد النبوة، هو عهد الخلفاء الراشدين ، (فقد نهلوا من مدرسة القرآن الكريم، مدرسة النبوة، فاتضحت لهم مهمتهم في تبليغ الدعوة، فكانوا الأسوة الحسنة للدعاة إلى الله بعد رسول الله ﷺ، وطريقتهم حجة ، قال ﷺ:"عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة "(٥٩).وجاء في الصحيحين أنه- ﷺ - قال :"كيف ترون القوم صنعوا حين فقدوا نبيهم، وأرهقتهم صلاتهم"، قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: "أليس فيهم أبو بكر وعمر، إن يُطيعوهما فقد رشدوا، ورشدت أمتهم، وإن يعصوهما، فقد غووا، وغوت أمتهم"، قالها ثلاثاً) (٦٠).

وقد برزت في عهد هؤلاء الخلفاء ذاتية الأمة الإسلامية بوضوح ، على أسس متينة قويمة من العقيدة والشريعة التي جاء بها الإسلام في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. واتضحت فيه مهمة الأمة المسلمة في تبليغ الدعوة، وإخراج الناس من ظلم العباد إلى عدل الإسلام، ومن ظلام الشرك إلى عبادة الله وحده.(٦١).

الرسول ﷺ وضع خطة الفتوحات لنشر الإسلام:

قام رسول الله ﷺ في مكة المكرمة بتبليغ الدعوة بالطرق والوسائل المتاحة له، وكان يتصل بالقبائل، ويحضر الأسواق، ويدعو الزعماء لنصرته، إلى أن كانت بيعة العقبة الأولى في السنة الثانية عشرة من البعثة النبوية، وبيعة العقبة الثانية في السنة الثالثة عشرة من البعثة النبوية مع أهل المدينة، وتكونت دولة الإسلام في المدينة، فقام بعبء الجهاد في سبيل الله، لتبليغ الدعوة، إلى جانب إرسال الكتب والرسل إلى من كان يعاصره من الملوك، والأمراء، والقادة، والزعماء.. واتضحت معالم هذه الوسيلة الأخيرة بعد هدنة الحديبية عام ٦ هـ (٦٢). وهذه الكتب واضحة الدلالة على تطبيق رسول

٥٨- انظر : مشكلات تربوية فى البلاد الإسلامية ، عباسى مدنى ، ص٢٨٩ ، مطبعة المنارة ، بتصرف واختصار وإضافة .

٥٩ - مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي) أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)ج٢٢٨/١ - تحقيق: حسين سليم أسد الداراني- الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية- الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م قال المحقق: صحيح.

٦٠ - منهاج السنة- ابن تيميه ،١٦٠/٣. انتشار الإسلام الفتوحات الإسلامية زمن الراشدين - جميل عبد الله محمد المصري ، ج٧٣/١ ، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة: السنة الحادية والعشرون - العددان الواحد والثمانون والثانى والثمانون - المحرم - جمادى الآخرة ١٤٠٩هـ

٦١ - انتشار الإسلام الفتوحات الإسلامية زمن الراشدين - جميل عبد الله محمد المصري ، ج٧٤/١.

٦٢ - انظر: السيرة النوية لابن هشام ، ج٦٥٠/١، الطبري- تاريخ ٦٤٤/٢- ٦٥٥.

الله ﷺ عملياً لما تردد في القرآن الكريم من دعوة الناس جميعاً لاعتناق الإسلام.

ورسول الله ﷺ قام فعلاً بتبليغ الدعوة ونشرها عن طريق الجهاد، وغزواته وسراياه كثيرة(٦٣). إذا وقف الأعداء في طريق الدعوة ، ووضعوا أمامها العقبات .

وتظهر في بعضها خطته ﷺ في نشر الدين خارج شبه الجزيرة العربية. وهذه الخطة حاول معظم المستشرقين التشكيك فيها كعادتهم حتى الذين لم ينكروا بعثته ﷺ إلى الناس كافة(٦٤). رغم وضوح هذه الخطة، ورغم استمرارها في عهد خلفائه الراشدين بعد التحاقه بالرفيق الأعلى. فقد بعث ﷺ خمسة عشر رجلا إلى ذات أتلاح على مشارف بلاد الشام، يدعون إلى الإسلام، فاستشهدوا جميعاً، لم ينجُ إلا رئيسهم كعب الذي عاد جريحاً(٦٥). ووجه ﷺ سرية مؤتة لتأديب القبائل الغادرة، ولتكون طليعة حملة أكبر لفتح الشام عام ٨ هـ(٦٦) قبل فتح مكة وقد تصدى لهذه السرية الروم البيزنطيون بقبائل العرب المتنصرة، وعادت دون أن تحقق نجاحاً عسكرياً، ولكنها أدت دوراً في تبليغ الدعوة، فوصلت الدعوة حدود الشام، وبدأت تمتد بين القبائل الخاضعة للروم، قبل أن تعمّ شبه الجزيرة العربية.

ووجه ﷺحملة بقيادة عمرو بن العاص في المهاجرين الأولين إلى الشمال، وفيهم أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة، قبل أن يتوجه لفتح مكة عام ٨ هـ. فوطيء عمرو أرض طيء، وبلي، وعذرة، وبلقين في غزوة ذات السلاسل(٦٧). وكلها قبائل كانت تخضع للروم البيزنطيين بشكل أو بآخر.

وبعد غزوة حنين ورجوعه من حصار الطائف قاد ﷺ غزوة تبوك بنفسه عَام ٩ هـ. وكانت تظاهرة إسلامية كبيرة، وصل عدد الجيش الإسلامي فيها ثلاثين ألفاً، وهو أكبر جيش شهدته الجزيرة العربية حتى ذلك التاريخ، وقد تنافس المسلمون في تجهيزه، في النفقة، وتنافسوا في النفير، في زمن عسرة، وشدّة الحرّ، فسمي الجيش بـ "جيش العسرة"(٦٨). وكانت اختبارا وفقاً لأمة الجهاد بالفعل، كشفت بوضوح خطة الرسول ﷺ بالعمل على تبليغ الدعوة ونشرها بطريق الجهاد والفتح، ووضعت الأسس التي ستسير عليها الفتوحات الإسلامية زمن الراشدين والأمويين، وما يجب أن تسير عليه الأمة المسلمة في جميع عصورها.(٦٩).

---

٦٣ - انظر: ابن كثير- البداية والنهاية ج٥/ ٥ ٢١-٢٢٣.
٦٤ - قصة الحضارة ، ول ديورانت "- ج١٣/ ٢١.
٦٥ - البداية والنهاية ، ابن كثير- ج٤/ ٢٤١.
٦٦ - المغازي ، الواقدي- ج٢/ ٧ ٥ ٧، ابن هشام- السيرة، ج٢/ ٣٢٤، ابن سعد- الطبقات، ج٢/ ١.
٦٧ - المغاري ، الواقدي- ج٢/ ٧٧١، المقريزي - إمتاع الأسماع ، ج١/ ٣ ٥ ٣.
٦٨ - تاريخ، الطبري – ج٣/ ١٠١، المغازى، الواقديً- ج٣/ ٩٩٩- ١٠١٥، الكامل في التاريخ ، ابن الأثير- ج٢/٢٧٧، السيرة، ابن هشام- ج٤/ ١٣٥ - ١٣٨، طبقات ابن سعد، ج٢/ ١١٩،١.
٦٩ - للتوسع انظر: انتشار الإسلام الفتوحات الإسلامية زمن الراشدين - المؤلف: جميل عبد الله محمد المصري ، ج١/٧٨ .

المبحث الخامس

الفتوحات في عهد الخلفاء الراشدين .

بداية الفتوحات في عهد أبي بكر رضي الله عنه

حانت الفرصة لنشر الإسلام بعدما استتب الأمر وانتهت فتنة الردة، فبدأت الفتوحات قرب موت أبي بكر، فمنّ الله على أبي بكر بفتح أبواب الفتوحات الإسلامية، فقد بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه وأرضاه والمثنى بن حارثة إلى أهل فارس لفتح العراق، وبعث خالد بن الوليد إليهم بثلاث: الإسلام أو الجزية أو القتال، فبعثوا إليه وقالوا: إن أردت في كل عام أن تأتينا ثم نعطيك الدراهم والملابس لهؤلاء الرعاع فخذ منا، فبعث خالد إليهم بالكلمة المشهورة التي أرعبتهم وأخمدت عروشهم، قال خالد بن الوليد: جئتكم بأناس يحبون الموت كما تحبون الحياة، وفي رواية أخرى أنه قال: جئتكم بأناس يحبون الموت كما تحبون أنتم الخمر، ثم وقعت المعركة، وأصبح القتل يميناً ويساراً بأهل الفرس، وفتح الله على يديه العراق. ثم بعث إليه أبو بكر بأن يذهب لتأديب الروم، فكانت المعركة الكبرى التي تقابل فيها أربعون ألفاً أمام مائة وأربعين ألفاً، وهي معركة اليرموك، التي مات أبو بكر قبل أن ينتصر المسلمون فيها، فهو الذي أصر على تأمير خالد رضي الله عنه وأرضاه؛ لأن عمر جاء أكثر من مرة إلى أبي بكر يقول له: اعزله، فيقول: لا والله، لا أغمدن سيفاً قد سله الله وسله رسوله ﷺ، وقال: والله لأقطعن عنهم وساوس الشيطان بـ خالد بن الوليد، وهذا الذي جعل ملك الروم يقول لـ خالد: من أنت؟ أأنزل الله لك سيفاً من السماء تقاتل به فلا تهزم أبداً؟ ذهب خالد عبر الصحراء حتى وصل الشام، ثم بعث أبو بكر إليهم بالكتاب وقال فيه: إذا جاءكم خالد فأمروه عليكم، ونزل أبو عبيدة وجميع المسلمين تحت إمرة خالد وهم أربعون ألفاً وجيش الروم مائة وأربعون ألفاً، لكن خالد كان بطل الحروب، فهو الذي لم يهزم في معركة بإذن الله، حتى في قتال المسلمين حين كان كافراً، ففي أحد كان هو سبب هزيمة المسلمين، فقد قام بخبرته العسكرية بعد اليقين بالله جل وعلا، والإيمان الراسخ، فعمل ميمنة وميسرة ومقدمة ومؤخرة، فجعل أبا عبيدة -أمين هذه الأمة- في الخلف، وجعل نفسه في المقدمة، وأحد الصحابة في الميمنة والآخر في الميسرة، ثم دخل إلى قلب الروم إلى خيمة رئيسهم، وقتل منهم ثم رجع، وهكذا أخذ بالكر والفر حتى هزم الروم، وكتب الله للمسلمين النصر، ثم جاءت البشارة إلى عمر بعدما مات أبو بكر، الذي كان سبباً في هذه المعركة الخالدة التي تبين أن النصر حليف المسلمين لا محالة، وإن كانوا أقل عدة وعتاداً، وذلك إذا تمسكوا بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، وإذا صدقوا في نصرة الله وفي نصرة رسوله ﷺ، وإذا رفعوا راية التوحيد، فلو تكالب الجن والإنس على أهل الإسلام الذين رفعوا راية لا إله إلا الله فإن النصر سيكون لأهل الإسلام، كما قال شيخ الإسلام مقعداً قاعدة عظيمة قال: إذا التقى الجيشان: فإن كانا كافرين جعل الله الغلبة للأقوى، وإن كان الجيش الأول مسلماً والآخر كافراً جعل الله النصرة لأهل الإسلام. فجعل الله النصرة في معركة اليرموك لـ خالد ولأصحابه رضوان الله عليهم؛ لأنهم صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وصدقوا في نصرة الله جل وعلا.(٧٠)

ولما ظهر الإسلام وتوسعت الفتوحات في عهد الرسول ﷺوالخلفاء الراشدين كان النصارى قسمين:

---

٧٠ - أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - محمد حسن عبد الغفار ، ٩/٦٥ ، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية - http://www.islamweb.net

الأول: الغالبية منهم دخلت الإسلام طوعا أو كرها، وهم نصارى الجزيرة العربية والعراق والشام وفلسطين، ومصر وأفريقية، وكذلك النصارى من أهل فارس وما حولها من بلاد الشرق، وكان النصارى أكثر قبولا للإسلام من اليهود والمجوس والوثنيين.

الثاني: البقية الذين لم يدخلوا الإسلام وهم على حالين:

أ- نصارى لم تصلهم الفتوحات الإسلامية، وهم نصارى أوروبا (عدا الأندلس وشرق أوروبا)، وهؤلاء مركزهم روما، ومنهم انطلقت الهجمات النصرانية على المسلمين في الشام ومصر وأفريقية أيام الحروب الصليبية وما قبلها وما بعدها إلى عهد ما يسمى بـ (الاستعمار (١) الحديث) بل وحتى اليوم.

ب- النصارى الذين بقوا على نصرانيتهم داخل الدولة الإسلامية (أهل الذمة) أو تحت الرق، وكان لهؤلاء دور كبير في الكيد للإسلام والمسلمين، وكثيرا ما يتضامنون مع اليهود سرا في ذلك، كما حصل في مقتل عمر رضي الله عنه والفتن التي تلت ذلك، كما أن هؤلاء قاموا بجهد كبير في بث المعتقدات والشبهات والفلسفات الدخيلة على العقيدة الإسلامية، والتي أسفرت عنها الفرق الكلامية كالقدرية، والجهمية، والمعتزلة، والفرق الباطنية: كالرافضة، والإسماعيلية، والحلولية، والاتحادية والاتجاهات الفلسفية، والطرق الصوفية، وكل هذه الفرق والمذاهب أثر النصرانية فيها جلي واضح.

وللنصارى في العصر الحديث أثر كبير في غزو المسلمين عسكريا وسياسيا، وفكريا، وأخلاقيا، واقتصاديا.(٧١)

كان لاتساع الفتوحات الإسلامية، ودخول الكثير من العجم في الإسلام، واختلاطهم بالعرب - الأثر البالغ على الملكة اللسانية العربية، فبدأ اللحن يتسرب إلى اللسان العربي، فخاف العلماء أن يتعرض القرآن الكريم للتحريف أو ينغلق فهمه على الناس، ومن ثم بادروا إلى وضع القواعد الضابطة للسان العربي من الانحراف وهو ما اصطلح على تسميته بـ" علم النحو ".(٧٢)

إن امتداد رقعة الإسلام واتّساع الفتوحات الإسلامية، وانحسار الكفر وتضييق رقعة بلاد الكافرين بيد الله تعالى وحده.(٧٣).

وبعد أن أخمد أبو بكر عصيان مانعي الزكاة وقاتل المرتدين وعم الإسلام الجزيرة العربية قام بتنفيذ السياسة التي قررها الرسول ﷺ في نشر الإسلام خارج الجزيرة العربية، فوجه القوى الإسلامية إلى الجهاد في جبهتين: جبهة العراق بقيادة خالد بن الوليد وجبهة الشام بقيادة أبي عبيدة ابن الجراح ومعه يزيد ابن أبي سفيان وأخوه معاوية وشرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص. وفي العراق تم فتح القسم الجنوبي منه، ثم أمر أبو بكر خالد بن الوليد أن يتوجه إلى الشام مع قسم من جيش العراق مددا لأبي عبيدة ابن الجراح وتم فتح الشام بعد وقعة اليرموك سنة ١٣هـ وقبيل وفاة أبي

---

٧١ - الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة: د. ناصر العقل ود. ناصر القفاري - ص٧٥.

٧٢ - تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) ج٦٦/١ ، المحقق: د. مجدي باسلوم - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان - الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م.

٧٣ - التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج - د وهبة بن مصطفى الزحيلي ، ج١٩٥/١٣ ، الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق - الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ .

بكر .(٧٤)

وفي عهد عمر بن الخطاب ﷺ (١٣ – ٢٣هـ) غزا معاوية الروم حتى بلغ (عمورية) وفتحت الجزيرة وأرمينية وأذربيجان، وطرق المسلمون باب الأبواب على بحر الخزر (قزوين) على يد عياض بن غنم وفتحت مصر على يد عمرو بن العاص وامتد الفتح الإسلامي على الأقاليم الساحلية الليبية (طرابلس وبرقة) .

وفي العراق تولى قيادة الجيش الإسلامي سعد بن أبي وقاص وتم على يده فتح ما تبقى من العراق بعد وقعة القادسية (سنة ١٤هـ) وفيها هزم جيش الفرس وقتل قادته، واجتاز المسلمون حدود بلاد إيران ففتحوا خراسان والأهواز وإقليم فارس وامتد الفتح جنوبا حتى مكران إلى حدود السند وشرقا إلى سجستان (أفغانستان) .(٧٥)

الفتوحات في عهد عثمان، ﷺ:

وفي خلافة عثمان – رضي الله عنه – (٢٣ – ٣٥هـ) أعيد فتح خراسان وأرمينية وأذربيجان بعد انتقاضها، وفتحت الري وهمذان وطبرستان وجرجان واكتمل فتح إيران. وفي بلاد الشام لم يبق بعد وقعة اليرموك إلا حاميات بيزنطية في بعض مدن فلسطين والساحل، فأتم فتحها معاوية ابن أبي سفيان، وكان عمر بن الخطاب ولاه على الشام بعد وفاة أخيه زيد بطاعون عمواس سنة ١٨هـ . وعلى جبهة الروم أنشأ معاوية نظام الصوائف والشواتي لمتابعة غزو الروم. وفي سنة ٢٧هـ بلغ القسطنطينية وحاصرها، وأنشأ في عكا دارا لصناعة السفن، وفيها تم أول أسطول عربي وكان باكورة عمله الاستيلاء على جزيرتي قبرص وأرواد، وبه أبيد الأسطول البيزنطي في وقعة (ذات السواري) سنة ٣٤هـ، وأصبح شرق البحر المتوسط بعدها بحرا عربيا . وفي مصر امتد الفتح الإسلامي نحو إفريقية بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح الذي ولاه عثمان بعد عزله عمرو بن العاص وانتصر المسلمون على جيش الروم، وكان بقيادة (جرجير gregorius) وتم الاستيلاء على (سبيطلة) التي اتخذها عاصمة له، وفتحت بعد هذه المعركة أبواب المغرب . وفي عهد علي ابن أبي طالب توقفت الفتوحات، ما خلا توغل جرى في جبهة السند وذلك بسبب الفتن التي ثارت في عهده وانتهت بقتله.) (٧٦).

---

٧٤ - موقع قصة الإسلام – الكاتب : عبد العظيم بركات ، تحت إشراف : راغب السرجاني : http://forum.islamstory.com/5008

٧٥ - موقع قصة الإسلام – الكاتب : عبد العظيم بركات ، تحت إشراف : راغب السرجاني : http://forum.islamstory.com/5008

٧٦ - موقع قصة الإسلام – الكاتب : عبد العظيم بركات ، تحت إشراف : راغب السرجاني : http://forum.islamstory.com/5008

وهذه الخريطة تبين هذه الفتوحات :

الدافع للفتوحات الإسلامية :

دافعان أساسيان للفتوحات الإسلامية :

الأول :هو الدفاع عن الدولة الإسلامية الفتية؛ إذ كانت مهدَّدة بالقضاء عليها من الدولة الفارسية من جهة الشرق، والدولة الرومانية من جهة الغرب، فاندفع المسلمون شرقًا وغربًا لإزاحة هذين الخطرين.

الثاني :هو أنَّ المسلمين وجدوا أنفسهم مكلَّفين بتبليغ الناس الإسلام، وأن الله – سبحانه – قد أناط بهم هذه المسؤولية الإنسانية، بل قد أمرهم بهذا ضمنًا حين أمر نبيَّهم ، قَالَ تَعَالَى:﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾ المائدة: ٦٧

وشرَّفهم الله – سبحانه – بأداء هذا الأمر الرباني، بأن جعلهم شهداء على الناس يوم القيامة، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣ ﴾ البقرة: ١٤٣

فقد وجد الرَّعيل الأول من المسلمين أنفسهم بأنَّهم قد أصبحوا مكلَّفين بأن يكونوا بمثابة رسل الله مبشِّرين ومنذرين، ذلك عن طريق حمل الرسالة الإسلامية، وإيصالها إلى الناس، ليُقِيم الله الحجَّةَ على الناس يوم يقوم الناس لرب العالمين، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ النساء: ١٦٥

فاندفعوا مضحِّين بأموالهم وأنفسهم خارج أوطانهم؛ لإنقاذ شعوب الدنيا من ذل عبوديتهم للحكام إلى عزِّ عبوديتهم لله، إلا أن الطواغيت التي تحكم تلكم الشعوبَ لم يَرُقْ لهم أن يَرَوا شعوبهم قد تحرَّرت بالإسلام، فسخَّروا جيوشهم المغلوبة على أمرها لصد الدعاة المسلمين عن أداء هذا الأمر الرباني الذي فيه خلاص البشرية من عذاب الدنيا والآخرة، مما اضطر الصحابةَ والتابعين لحمل السيف ضدهم؛ ليتسنَّى لهم تبليغُ شعوب العالم دين الله فحسب، من غير إكراهِهم على اعتناقه، ليسلم منهم طوعًا مَن رغِب في الإسلام، فلولا تلك الفتوحات التي تحمَّل عناءها المسلمون الأوائل، لما كان ثلث البشرية ينعَمون اليوم بنعمة الإسلام التي لا تعادلها نعمة، فرضي الله عنهم جميعًا، وجزاهم الله عنا كل خير.

وبعد هذا نقول: بأنَّ الإسلام قد رسم لنا منهجًا عامًّا في التعامل مع غيرنا من غير المسلمين، ويمكن أن يمثِّل السياسة الخارجية للدولة الإسلامية، وهذا المنهج هو أن نحسن إلى مَن هم ليسوا على ديننا إذا أحسنوا إلينا ولم نَلْقَ منهم الأذى والعدوان، سواء كانوا يهودًا أم نصارى أم مشركين وكافرين، لكن علينا أن نُجابِهَ منهم مَن يُظهِر لنا عدوانَه وأذيته.

فكما نجد من النصارى مَن يحاربنا في ديننا وعقيدتنا، نجد قسمًا آخر منهم يدافع عنا ضد زملائه وبني جنسه .وقد تسمع مَن يطعن في الإسلام أنه انتشر بالقوة والسيف، فيقول: إن القرآن يقول، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٩ ،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ آل عمران: ٨٥

وهذا يعني أن مَن لم يُسلِم يجب قتاله؛ لأنه لا يُقبَل عند الله إلا الإسلام.

يقول ميشينر – وهو أستاذ أجنبي غير مسلم، يُدرِّس في جامعة هارفرد، في كلية التربية بولاية كولورادو الأمريكية، الحاصل على جائزة كوبنزر ١٩٤٧م، وقد مارس تدريس نظرية تدريس التاريخ، نقلاً من مجلة ريدرز دايجست حزيران ١٩٧٥م، بالغ من العمر ٧٠ عامًا – يقول هذا الأستاذ في مقال نشره في هذه المجلة":إنه في إحدى الكنائس في أمريكا لصقت عليها صور للمسيح وموسى وبوذا بشكل تظهر أنهم دعاة سلام، في حين أظهروا صورةً لمحمد ﷺ وبيده سيف يلوح به: "إما الإسلام أو الموت."

فانتقد هذا الأستاذ الكبير هذه المعاملة التي تُعامِلُ بها بلادُه الإسلامَ، ومما ذكره" :من أغرب الحقائق في عالمنا المعاصر أن الإسلام تعرَّض إلى فهم بائس"، ثم بعد ذلك راح يثني كثيرًا على الإسلام ومعاملته السمحة.

هذه التهمة التي يوجِّهها ضد الإسلام مستشرقون غربيون، لا تستند إلى واقع، بل هؤلاء المستشرقون أنفسهم يعلمون علم اليقين أنها كذب ومفتريات، إلا أنهم يَسْعَون من شيوعها في بلدانهم إلى صرف الناس عن هذا الدين، لذلك نجد مستشرقين آخرين أكثر منهم علمًا، لم يَخْفَ عليهم سخفُ

هذه التهمة، فراحوا يفنِّدونها بالأدلة المنطقية والواقعية.(٧٧)

"إن حضارات القبائل الوثنية في الجزيرة العربية كان عليها أن تختار بين الإسلام والسيف، إلا أن تعامُلَ المسلمين كان مختلفًا تجاه اليهود والمسيحيين والزرادشتيين (٧٨) ، وغيرهم ممن احتسبوا ضمن) أهل الكتاب(حيث عَدُّوا دياناتهم الديانات الشقيقة للإسلام، برغم الدعوى القائلة بأن الأتباع المعاصرين لتلك الديانات قد ابتعدوا عن جوهرها، ومهما كان الأمر فإنهم عُدُّوا (أهل الكتاب).

وعد المسلمون "معظم سكان الأقطار التي فتحوها أول الأمر خارج الجزيرة العربية ضمنَ (أهل الكتاب)؛ لذلك فإن فرض الجهاد لم يكن يرمي إلى تحويل أولئك السكان إلى الإسلام، بقدر ما كان يرمي إلى اعترافهم بالحكم الإسلامي وبمنزلتهم أناسًا يحميهم الإسلام، وكانت حمايتهم للذميين واجبًا مفروضًا، وكانت تمثِّل بالنسبة للدولة الإسلامية كلمةَ شرفٍ تلتزم بها الدولة وتنفِّذها.(٧٩).

انتشار الإسلام في البلدان التى فتحت طوعاً لا كرهاً :

إن الأوربيين يزعمون أن الإسلام انتشر بحدِّ السيف، فعقَّب على ذلك بقوله: "إن التصور الأوربي للإسلام في هذا الجانب بعيدٌ كلَّ البعدِ عن الحقيقة، لأن الإسلام قد انتشر في هذه البلدان طوعاً لا كرهاً ، كما أن الاختيار بين الإسلام والسيف لم يُفرَضْ على اليهود والمسيحيين وأتباع الديانات السماوية الأخرى، بل اقتصر على الوثنيين.(٨٠) ومن وقف حجر عثرة أمام انتشار الإسلام

يقول: "لم يكن يومًا من أغراض الحرب في الإسلام إكراهُ الناسِ على اعتناقه، لا في مبادئه النظرية ولا في واقعه التاريخي، اللهم إلا فلتات عارضة وقعت خطأ ممَّن لم يفهموا حقيقة الدعوة الإسلامية، ولا تُحسَب على الدين؛ لأنها ليست من هذا الدِّين.(٨١) ، وقد قال الله تعالى :

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦ ﴾ البقرة: ٢٥٦

قال الماوردي في قوله تعالي : ({لآَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} فيه ثلاثة أقاويل: **أحدها**: أن ذلك في أهل الكتاب ، لا يُكْرَهُون على الدين إذا بذلوا الجزية ، قاله قتادة. والثاني: أنها نزلت في الأنصار خاصة ، كانت المرأة منهم تكون مِقْلاَةً لا يعيش لها ولد ، فتجعل على نفسها ، إن عاش لها ولد أن تهوّده ، ترجو

---

٧٧ - رابط الموضوع: http://www.alukah.net/sharia/0/66300/#ixzz3p7r0etnI

٧٨ - الزرادشتية : من فرق المجوس " وجدت قبل الميلاد وهناك شك في تعاليمها وهي :
أ - أن لهذا العالم قانوناً يسير عليه ، وأن له ظواهر طبيعية ثابتة . ب - وأن هناك نزاعاً وتصادماً بين القوى المختلفة بين النور والظلمة ، والخصب والجدب . (٧٨) . والزرادشتية: أتباع زرادشت وهو رجل من أهل أذربيجان ظهر في أيام بشتاسف بن لهراسف وادعى النبوة فآمن به بشتا سف وأظهر اسب ديار بن بشتا سف دين زرادشت في العالم وبين المجوس خلاف كثير إلا أن الكل يتفقون على أن الله تعالى حارب مع الشيطان ألوف سنين ولما طال الأمر توسطت الملائكة بينه وبين الشيطان على أن الله تعالى يسلم العالم إلى الشيطان سبعة آلاف سنة يحكم ويفعل ما يريد وبعد ذلك عهد أن يقتل الشيطان ثم أخذت الملائكة سيفهما منهما وقرروا بينهما أنه من خالف منهما ذلك العهد قتل بسيفه وكان هذا الكلام غير لائق بالعقلاء لكن المجوس متفقون على ذلك (٧٨) .

٧٩ - تأثير الإسلام على أوروبا، تأليف المستشرق مونتجمري واط، ترجمة الدكتور عادل نجم عبو الأعرج ، ص١٣ - ١٤

٨٠ - المصدر السابق، ص١٢٠. مع إضافة قليلة .

٨١ - المصدر السابق، ص١٢٠، وانظر: http://www.alukah.net/sharia/0/66300/

به طول العمر ، وهذا قبل الإسلام ، فلما أجلى رسول الله ﷺ بني النضير ، كان فيهم من أبناء الأنصار ، فقالت الأنصار: كيف نصنع بأبنائنا؟ فنزلت هذه الآية ، قاله ابن عباس. والثالث: أنها منسوخة بفرض القتال ، قاله ابن زيد. **{فَمَن يَكْفُرُ بِالطَّاغُوتِ} فيه سبعة أقوال: أحدها**: أنه الشيطان وهو قول عمر بن الخطاب. **والثاني**: أنه الساحر ، وهو قول أبي العالية. **والثالث**: الكاهن ، وهو قول سعيد بن جبير. **والرابع**: الأصنام. **والخامس**: مَرَدَة الإنس والجن. **والسادس**: أنه كل ذي طغيان طغى على الله ، فيعبد من دونه ، إما بقهر منه لمن عبده ، أو بطاعة له ، سواء كان المعبود إنساناً أو صنماً ، وهذا قول أبي جعفر الطبري. **والسابع**: أنها النفس لطغيانها فيما تأمر به من السوء ، كما قال تعالى: **{إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ}** [يوسف: ٥٣]. واختلفوا في **{الطَّاغُوتِ}** على **وجهين: أحدهما**: أنه اسم أعجمي معرّب ، يقع على الواحد والجماعة. **والثاني**: أنه اسم عربي مشتق من الطاغية ، قاله ابن بحر. **{وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى}** فيها أربعة أوجه: **أحدها**: هي الإيمان الله ، وهو قول مجاهد. **والثاني**: سنة الرسول. **والثالث**: التوفيق. **والرابع**: القرآن ، قاله السدي. **{لاَ انفِصَامَ لَهَا}** فيه **قولان: أحدهما**: لا انقطاع لها ، قاله السدي. **والثاني**: لا انكسار لها ، وأصل الفصم: الصدع.) (٨٢) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم: معنى الآية: لا إكراه في الدين بعد إسلام العرب، وذلك أن العرب كانت أمة أمية، لم يكن لهم دين ولا كتاب، فلم يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف، وأكرهوا على الإسلام، ولم تقبل منهم الجزية، فلما أسلموا ولم يبق منهم أحد إلا دخل في الإسلام طوعا أو كرها أنزل الله هذه الآية، فلا يكره على الإسلام أهل الكتاب، فإذا أقروا بالجزية تركوا. قال عطاء، عن ابن عباس: العروة الوثقى: شهادة أن لا إله إلا الله وأن ما جاء به محمد ﷺ حق وصدق. وقال مجاهد: هي الإيمان. وقوله: **{لا انْفِصَامَ لَهَا}** [البقرة: ٢٥٦] الفصم: كسر الشيء من غير إبانة، يقال: فصمته فانفصم. قال ابن عباس: لا انقطاع لها

---

٨٢ - تفسير الماوردي = النكت والعيون- أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) ج١/٣٢٧-٣٢٨ ، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

دون رضا الله ودخول الجنة. والله سميع لدعائك يا محمد بإسلام أهل الكتاب، عليم بحرصك واجتهادك.)(٨٣).

واليهود والنصارى لم يجبروا على الدخول في الدعوة الإسلامية ، وعلى الرغم من أن هَؤُلاءِ كانوا قلة في المجتمع الإسلامي إلا أنهم تمتعوا بكافة الحقوق في ظل التسامح الدِّيني الذي دعا إليه الإسلام، فكانوا يقيمون شعائرهم الدِّينية في حرية كاملة، ويعيشون في طوائف منفصلة عن بعضها مختلطين مع المسلمين، فلم يكن لهم في المدن الإسلامية أحياء مخصصة إلا إذا آثروا الحياة في أحياء خاصة بهم، فتتكون تلقائيًّا لهم أحياء خاصة.)(٨٤)

ومن هذه الأمثلة التي قدَّمناها آنفًا عن ذلك التسامح الذي بسطه المسلمون الظافرون على العرب المسيحيين في القرن الأول من الهجرة، واستمر في الأجيال المتعاقبة - نستطيع أن نستخلص بحقٍّ أن هذه القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام إنما فعلت ذلك عن اختيار وإرادة حرة، وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتِنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهدٌ على هذا التسامح." (٨٥)

"ويمكن أن نحكم من الصلات الودية التي قامت بين المسلمين والمسيحين من العرب، بأن القوة لم تكن عاملاً حاسمًا في تحويل الناس إلى الإسلام، فمحمد - ﷺ- نفسه قد عقد حلفًا مع بعض القبائل المسيحية، وأخذ على عاتقه حمايتهم، ومنحهم الحرية في إقامة شعائرهم الدينية، كما أتاح لرجال الكنيسة أن ينعموا بحقوقهم ونفوذهم القديم في أمن وطمأنينة." (٨٦)

قال غوستاف لوبون عن " انتشار الإسلام ": (سيرى القارئ حين نبحث في فتوح العرب وأسباب انتصاراتهم أن القوة لم تكن عاملاً في انتشار القرآن، فقد تَرك العربُ المغلوبين أحرارًا في أديانهم، فإذا حدث أن اعتنق بعض الأقوام النصرانية الإسلامَ واتخذوا العربية لغة لهم، فذلك لِما رأوا من عدل العرب الغالبين، ما لم يروا مثله من ساداتهم السابقين، ولِما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم يعرفوها من قبل، وقد أثبت التاريخ أن الأديان لا تُفرَض بالقوة، فلما قهر النصارى عرب الأندلس، فضَّل هؤلاء القتل والطرد عن آخرِهم على ترك الإسلام. ولم ينتشر القرآن بالسيف إذًا، بل انتشر بالدعوة وحدَها، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب...، وبلغ القرآن من الانتشار في الهند، عن طريق التجار المسلمين لا عن طريق السيف.(٨٧) ، وبيَّن في هذا الكتاب نفسِه التسامحَ الإسلامي تجاه الأديان الأخرى، وقسوة الصليبيين ضد المسلمين، فقال: "وكانت القدسُ تابعةً في ذلك الحين لسلطان مصر الذي استردَّها من الترك، فاستولى عليها الصليبيون في ١٥ يوليه سنة ١٠٩٩، وقد جاء في الأقاصيص أن القدِّيس جورج تراءى للصليبين) يعني ظهر لهم، وهو في عداد الأموات، كما يقولون عن ظهور مريم أحيانًا للنصارى، فظهر لهم هذا القديس (من جبل الزيتون، وأنه حرَّضهم

---

٨٣ - الوسيط في تفسير القرآن المجيد - أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)ج١/٣٦٩-٣٧٠ ، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس - قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي - الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان - الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .

٨٤ - تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) ج١/٥٤ ، المحقق: د. مجدي باسلوم - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان – ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٨٥ - الدعوة إلى الإسلام – توماس أرنولد ترجمة حسن إبراهيم وزميليه، ص٥١.

٨٦ - المصدر السابق – توماس أرنولد – ص٤٨.

٨٧ - حضارة العرب؛ للمستشرق الفرنسي غوستاف لوبون، ص١٢٧ - ١٢٨ .

على القتال، فانقضُّوا على أسوار القدس واقتحموها. وكان سلوك الصليبيين حين دخلوا القدس غيرَ سلوك الخليفة الكريم عمر بن الخطاب نحو النصارى حين دخلها منذ بضعة قرون.

قال كاهن مدينة لوبي ريموندا جيل: "حدث ما هو عجيبٌ بين العرب عندما استولى قومنا على أسوار القدس وبروجها، فقد قطعت رؤوس بعضهم، فكان هذا أقل ما يمكن أن يصيبهم، وبُقِرَت بطون بعضهم، فكانوا يضطرون إلى القذف بأنفسهم من أعلى الأسوار، وحرق بعضهم في النار، فكان ذلك بعد عذاب طويل؛ (يعني يعذبون في البداية عذابًا طويلاً، ثم بعد ذلك يحرقونهم في النار)، وكان لا يرى في شوارع القدس وميادينها سوى أكداس من رؤوس العرب وأيديهم وأرجلهم، فلا يمر المرء إلا على جثث قتلاهم، ولكن كل هذا لم يكن سوى بعض ما نالوا، وروى ذلك الكاهن الحليم خبرَ ذبح عشرة آلاف مسلم في مسجد عمر، فعرض الوصف اللطيف كالآتي: ... ولم يكتفِ الفرسان الصليبيون الأتقياء بذلك، فعقدوا مؤتمرًا أجمعوا فيه على إبادة جميع سكان القدس من المسلمين، واليهود، والخوارج النصارى الذين كان عددهم نحو ستين ألفًا، فأفنوهم على بكرة أبيهم في ثمانية أيام، ولم يستثنوا منهم امرأة ولا ولدًا ولا شيخًا.(٨٨)

وقال: "وكان تعميد العرب كرهًا (أي تحويلهم إلى نصارى) فاتحةَ ذلك الدور... ولم تتم عملية التطهير بالنار إلا بالتدرج؛ لتعذُّر إحراق الملايين من العرب دفعة واحدة، ونصح كردينال طليطلة التقي – الذي كان رئيسًا لمحاكم التفتيش – بقطع رؤوس جميع مَن لم يتنصَّر من العرب رجالاً ونساءً، وشيوخًا وولدانًا، ولم يرَ الراهب الدومينيكي بليد الكفايةَ في ذلك، فأشار بضرب رقاب مَن تنصَّر من العرب، ومن بقي منهم على دينِه، وحجته في ذلك أن من المستحيل معرفة صدق إيمانَ مَن تنصَّر من العرب؛ فمن المستحب إذًا قتل جميع العرب بحدِّ السيف؛ لكي يحكم الرب بينهم في الحياة الآخرة، ويُدخِل النار مَن لم يكن صادق النصرانية منهم .ولم تر الحكومةُ الإسبانية أن تعمل بما أشار به هذا الدومينيكي الذي أيَّده الأكليورس في رأيه، لِما قد يبديه الضحايا من المقاومة، وأمر في سنة ١٦١٠م بإجلاء العرب من إسبانية، فقتل أكثر مهاجري العرب في الطريق، وأبدى ذلك الراهب البارع ارتياحه لقتل ثلاثة أرباع هؤلاء المهاجرين في أثناء هجرتهم، وهو الذي قتل مائة ألف مهاجر من قافلة واحدة، كانت مؤلَّفة من ١٤٠.٠٠٠ مهاجر مسلم حينما كانت متجهة إلى إفريقية.(٨٩)

والله – سبحانه – هو الذي سخَّر هؤلاء ليبيِّنوا الحقائق لأقوامهم؛ لتكون دلائلهم أبلغ، وحجتهم أقوى؛ لأن الذي رد عليهم وأوضح زيفَ كلامهم أناسٌ منهم، ينتمون إلى نفس القومية واللغة والدين والبلد، وأوسع وأشهر منهم علمًا، وأفضل منهم أخلاقًا وسيرة.

وذكر الشيخ إبراهيم النعمة أنَّ من صور الاضطهاد الأخرى ضد المسلمين أن الاستعمار الفَرَنسي في إفريقيا الوسطى منعَ تدريس اللغة العربية لأبناء المسلمين في أي مدرسة كانت... وجعل مفتِّشين يقومون بتفتيش المدرسة الوحيدة للمسلمين في العاصمة(بانكي) ومن هؤلاء المفتشين رجل فرنسي وُلِد في الجزائر يُحسِن العربية كتابةً وقراءةً، كان مكلَّفًا بالتفتيش، بل كان يأتي في الأوقات كلها، فإذا علم الطلاب المسلمون أو المدرِّسون بقدومه أخفَوا ما معهم من كتب العربية تحت الحصير، ثم جلسوا فوقها، ووضعوا أمامهم كتبًا أخرى، بل كان هذا المفتش الصفيق يأتي إلى مدير المدرسة في بيته ويبحث عن كتب العربية عنده، حتى يبحث عنها تحت سريره.

---

٨٨ - المصدر السابق ، ص ٣٢٦ - ٣٢٧.
٨٩ - المصدر السابق ، ص٢٧٠-٢٧١.

كما أنهم وضعُوا حراسةً مشدَّدة على الحدود السودانية والتشادية، فإذا جاء أحد من السودان أو تشاد يريد دخول البلاد، فتَّشوه، فإذا وجدوا كتبًا معه بالعربية سحبوه وأخذوا منه الكتب، وظل الأمر على هذا الحال حتى الاستقلال عام ١٩٦٠.(٩٠)

إن القرآن الكريم لم يدعُ إلى نشر الإسلام بالقوة، بل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ النحـــل: ١٢٥ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦ ﴾ البقرة: ٢٥٦

"إنَّ القرآن لا يريد نشر الإسلام بالقوة؛ لأن الذين يدخلون الإسلام عن هذا الطريق يكونون منافقين، وبروز ظاهرة النفاق في المدينة أعطت المسلمين درسًا في الابتعاد عن إكراه الناس على قبول الإسلام، وكان الرعيل الأول مرهفي الحس في هذا الصدد، فقد روي أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وجد امرأة من غير المسلمين – يهودية أو نصرانية – بلغت أرذل العمر، جاءته تسأله (تستجدي منه)، فقال: هل أسلمتِ؟ قالت: إني أريد أن أموت على ديني، فخشي عمر – رضي الله عنه – أن يكون قد أغلظ لها في القول، مما يشبه الإكراه، وقال: اللهم إني لا أريد أن أُكرِهها، ثم تلا قولَه – تعالى : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦ ﴾ البقرة: ٢٥٦

وقد بالغ كثيرٌ من العلماء في احترام حرية الأديان، ومن العجب في هذا الموضوع ما يقوله علماء الشافعية: إذا أسلمت زوجة الذمي؛ أي: زوجة النصراني أو اليهودي، لا يعرض الإسلام على زوجها؛ لأن في عرض الإسلام عليه إكراهًا له على الإسلام من طريق خفي، وذلك أن الإسلام يفرِّق بينها وبين زوجها.

ومن الأمور المعروفة في التاريخ الإسلامي أن محمدًا – ﷺ– حين أُوحِي إليه وأُمِر من قِبَل الله بتبليغ الناس ونشر الإسلام، لم تكن له وقتئذٍ أية قوة كانت، وأية سلطة كانت، فراح ينشرُ الإسلام والناس يدخلون في هذا الدين طوعًا وعن رضا وقناعة، فأيَّة قوة وأي سيف أجبَر مثلاً أبا بكر وعمر وعثمان وبلالاً على الدخول في الإسلام؟! وأي مطمع دنيوي حرَّك فيهم دافع الإيمان؟.(٩١)

بل هؤلاء والصحابة من الرعيل الأول جميعًا – رضي الله عنهم – أسلموا على الرغم من أن السيف كان مشهورًا من قِبَل المشركين ضدهم، ليَحُولَ بينهم وبين دخولهم الإسلام، أسلموا على الرغم من أن الإسلام عرَّضهم للخوف، والفقر، والقتل، والهجرة، ومفارقة الأهل والأولاد؛ أي: إن هذا الواقع التاريخي يشهَدُ بعكس ما ادَّعاه أعداء الإسلام تمامًا.

ويؤلِّف المسلمون في الحبشة ٦٠ ٪ من السكان، وقد أعلن إمبراطور الحبشة" هيلا سيلاسي " في خطابه الذي ألقاه في الكونغرس الأمريكي أن المسلمين أقلية دخلت الإسلام على أيدي عدد من

٩٠- هذا ما ذكره الشيخ إبراهيم النعمة في كتابه الإسلام في إفريقيا، وكان الشيخ إبراهيم النعمة قد زار هذه البلاد ودرس فيها .
رابطhttp://www.alukah.net/sharia/0/66300/#ixzz3p82Gz6ej
٩١ - مجلة التربية الإسلامية. مقال: إدريس الكلاك بعنوان: "الجهاد ومشروعية القتال في الإسلام"http://www.alukah.net/sharia/0/66300/#ixzz3p82Gz6ej

التجَّار الأجانب، وأنهم قريبًا سيعودون إلى دين آبائهم وأجدادهم.

وهذا اعتراف صريح من هذا الطاغية من حيث لا يشعر بأن الإسلام لم ينتشر بالسيف في بلاده. وقد أسلم من قبلُ النجاشي ملك الحبشة في عهد رسول الله - ﷺ- ولم يصل إليه ولا إلى بلاده سيف إسلامي واحد، فقد أسلم على يد المسلمين الذين هاجروا أوَّل مرة إلى الحبشة، وما يزال في الحبشة أكثر من عشرين مليون مسلم.

وهذه إندونيسيا يبلغ عدد المسلمين فيها (١٥٠) مليون مسلم، لم تصل إليها الفتوحات الإسلامية، بل أسلم أهلها عن طريق وصول التجَّار المسلمين إليها، وكذلك بلدان مناطق أخرى؛ كبلدان السواحل الشرقية لإفريقيا وشمال الصين، وما كان يسمى بالأمس جمهوريات الاتحاد السوفيتي، وغيرها من المناطق والبلدان. كما أن الإسلام عقيدةً وتشريعًا قائمٌ على أساس مبدأ عدم الإكراه، فكل أمر يقوم على الإكراه أمر باطل في الإسلام. فالإنسان في الإسلام لا يُحاسَب على أمر هو مسيَّر فيه لا مخيَّر، فلا يحاسب ولا يُسأَل مثلاً: لِمَ كان أنثى ولم يكن ذكرًا؟ ولِمَ وُلِد في هذا البلد ولم يُولَد في غيره؟ وأولاد الزنا لا يُسأَلون يوم القيامة لِمَ وُلِدوا من أم زانية؟ فلا يُحاسَب الإنسان على مثل هذه الأمور؛ لأنه مُكرَه عليها، ولكن يُحاسَب على ما هو مخيَّر فيه؛ عن صلاته: لِمَ لم يُصَلِّ؟ وعن صيامه: لِمَ لم يَصُمْ؟ وعن أخلاقه: لِمَ كانت سيئة ولم تكن حسنة؟ لأنه غير مُكرَه على ترك الصلاة والصيام، وغيرُ مكره على القيام بالخُلق السيئ.وفي الإسلام إذا شرِب العبد الخمر حوسب وعُدَّ آثمًا، وإذا أُكرِه على شربها لا يحاسب ولا يعدُّ آثمًا، وإذا صلَّى العبد أُجِر على أدائه هذه الفريضة، أما إذا أدَّاها عن طريق الإكراه، فلا يُؤجَر عليها، فكل أمر مكره عليه العبد حكمُه باطل في الإسلام، بل عدَّ شرعُ الله مَن اعتنق الإسلام عن طريق الإكراه منافقًا، والمنافق في نظر الشرع أشد خطرًا على الإسلام من الكافر؛ ولهذا فإن الإسلام جعل من مبادئه الأساسية في الدعوة عدمَ إكراه الناس على اعتناق دين الله، بل الرسول - ﷺ- والرَّعيلُ الأول من المسلمين لم يُكرِهوا عَبَدة الأصنام على اعتناق الإسلام، سوى أنهم دَعَوْهم إلى ترك هذه العبادة المتمثلة في السجود والركوع للأحجار، والاعتقاد بأنها تضر أو تنفع، وأصحاب رسول الله - ﷺ- لم يقاتلوا المشركين إلا لأن المشركين أرادوا قتالهم، فقتال المسلمين للمشركين كان دفاعًا عن النفس ودفاعًا عن دين الله، ولصرف المشركين من أن يَحُولُوا بينهم وبين دعوة الناس إلى الإسلام، فالمسلمون لم يقتلوا مشركًا واحدًا لأنه مشرك، بل ما قتلوا من المشركين إلا الذي أراد قتالهم وقتلهم، والأمثلة من السيرة والسنة النبوية كثيرة؛ منها:

فلمّا رأى عليه الصلاة والسلام استهانة قريش به أراد أن يتوجّه إلى ثقيف بالطائف (٩٢) يرجو منهم نصرته على قومه ومساعدته حتى يتمّم أمر ربه لأنهم أقرب الناس إلى مكة وله فيهم خؤوله (٩٣) فإنّ أم هاشم بن عبد مناف عاتكة السلمية من بني سليم بن منصور وهم حلفاء ثقيف. فلما توجّه إليهم ومعه مولاه زيد بن حارثة قابل رؤساءهم وكانوا ثلاثة: عبد يا ليل ومسعود وحبيب أولاد عمرو بن عمير الثقفي. فعرض عليهم نصرته حتى يؤدي دعوته فردّوا عليه ردا قبيحا ولم ير منهم خيرا. وحينذاك طلب منهم ألايشيعوا ذلك عنه كيلا تعلم قريش فيشتد أذاهم لأنه استعان عليهم بأعدائهم، فلم تفعل ثقيف ما رجاه منهم عليه الصلاة والسلام بل أرسلوا سفهاءهم وغلمانهم يقفون في وجهه في الطريق ويرمونه بالحجارة حتى أدموا عقبه. وكان زيد بن حارثة يدرأ عنه إلى أن انتهى إلى شجرة كرم واستظل بها، وكانت بجوار بستان لعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما من أعدائه وكانا

---

٩٢ - بلدة في الحجاز على مسافة ٦٥ ميلا جنوب شرقي مكة وهي مشهورة بجودة مناخها وفواكهها ومياهها الجارية ويطل عليها جبل غزوان وهي مصيف مكة وهي أبرد مكان في الحجاز.

٩٣ - لأنهم كانوا أخواله، ولم يكن بينه وبينهم عداوة.

في البستان، فكره رسول الله مكانهما فدعا الله قائلا (اللهم اني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلّة حيلتي، وهواني على النّاس، يا أرحم الرّاحمين، إلى من تكلني؟ إلى عدو يتجهّمني (٩٤) أم إلى قريب ملّكته أمري؟ إن لم تكن ساخطا عليّ فلا أبالي غير أنّ عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أضاءت له السموات والأرض، وأشرقت له الظّلمات وصلح عليه أمر الدّنيا والاخرة، ان تحلّ عليّ غضبك أو تنزل عليّ سخطك، ولك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوّة إلّا بك) (٩٥). فلما راه ابنا ربيعة رقّا له وأرسلا إليه بقطف من العنب مع مولى لهما نصراني اسمه عدّاس، فلما ابتدأ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يأكل قال: (بسم الله الرّحمن الرّحيم) فقال عداس: هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال عليه الصلاة والسلام: من أي البلاد أنت وما دينك؟ فقال: نصراني من نينوى (٩٦)، فقال له عليه الصلاة والسلام: من قرية الرجل الصالح يونس بن متّى؟ قال: وما علمك بيونس؟ (٩٧) فقرأ له من القران ما فيه قصة يونس، فلمّا سمع ذلك عداس أسلم، وأتى جبريل برسالة من الله جلّ ذكره، وقال: إن الله أمرني أن أطيعك في قومك لما صنعوه معك فقال عليه الصلاة والسلام (اللهمّ اهد قومي فإنهم لا يعلمون) فقال جبريل: صدق من سمّاك الرؤوف الرحيم (٩٨) . ولما كان بنخلة (٩٩) وفد عليه نفر من الجن يستمعون القران وهم ممّن ينتمون إلى موسى صلوات الله عليه، فلمّا سمعوه أنصتوا له ورجعوا إلى قومهم منذرين وأبلغوهم خبر رسول الله وفيهم نزل في سورة الأحقاف قال تعالى : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ الأحقاف: ٢٩ - ٣٢

وقد قص الله قصة الجن بعبارة أطول في سورة سميت باسمهم أولها قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا «٢» .) (١٠٠)

• وفي إحدى غزواته كان رسول الله – ﷺ– نائمًا تحت شجرة بعيدًا عن أصحابه، فرآه رجل من المشركين فنوى في نفسه شرًّا، فجاء إليه وجعل السيف فوق رقبة رسول الله – ﷺ– عازمًا قتله، فقال له: يا محمد، مَن يمنعك الآن مني؟ فقال – ﷺ–: ((الله))، فوقع السيف من يدِه، وتسلَّمه رسول الله – ﷺ– فقال له: ((ومَن يمنعك مني؟))، فقال الرجل المشرك: كن خيرَ آخذٍ، فعفا عنه رسول الله – ﷺ– ولم يقتله، على الرغم من أنه كان رجلاً مشركًا من جهة، ونوى قتله من جهة أخرى!

• وفي كتب السيرة وتراجم الصحابة أن ثُمامة بنَ أُثال بن النعمان جاء من اليمن إلى المدينة

---

٩٤ - أي بلقاني بغلظة ووجه كريه.

٩٥ - رواه الطبراني: والنص أخذ من كتاب الجامع الصغير للسيوطي بلفظه.

٩٦ - بلد على شاطئ دجلة وهي اخر ما ينتهي إليه العراق وأمامها مدينة الموصل.

٩٧ - تتمة القصة: فقال رسول الله ﷺ: ذلك أخي كان نبيا وأنا نبي فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه، قال: يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه. أما غلامك فقد أفسده عليك، فلما جاء عداس قالا له: ويلك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي. قالا له: ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك فإن دينك خير من دينه.

٩٨ - وفي الصحيحين ما خلاصته أن الله أرسل ملك الجبال مع جبريل، فقال ملك الجبال للنبي ﷺ: إن الله قد بعثني إليك لتأمرني بما شئت. فإن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين (الجبلين) لفعلت فقال رسول الله ﷺ «أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله واحده ولا يشرك به شيئا» .

٩٩ - موضع على بعد ليلة من مكة.

١٠٠ - نور اليقين في سيرة سيد المرسلين - محمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ الخضري (المتوفى: ١٣٤٥هـ) ج١/٦٠-٦١ ، الناشر: دار الفيحاء – دمشق - الطبعة: الثانية - ١٤٢٥ هـ.

متوشحًا بسيفه، فلمَّا رآه عمر ارتاب منه، وقال له: ماذا تريد؟ فقال: أريد قتل محمد، فأخذ عمر السيف منه وربط الرجل في ساريةٍ من سواري المسجد، ثم ذهب إلى رسول الله - ﷺ- يُخبره بقصة الرجل، فجاء إليه فقال له الرسول - ﷺ-: ((قل: لا إله إلا الله، محمد رسول الله))، فقالَ الرجل المشرك: لا أقولها، فأعادها عليه، ((قل: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله))، فقال في الثانية: لا أقولها، ثم التفت الرسول - ﷺ- إلى أصحابه وقال: ((هل أعددتم له طعامًا؟))، وعمر - رضي الله عنه - لم يكن يتوقَّع أن يسمع من الرسول - ﷺ- ذلك، بل كان قد اشتدَّ غضبه على الرجل المشرك، وكان ينتظر أن يأمره الرسول بقتله فيقتله، فقال عمر: أي طعام نعدُّه لهذا الذي جاء لقتلِك يا رسول الله؟ ثم أمر الرسول - ﷺ- أحد الصحابة أن يأتي له بطعام من بيته، فلما فرغ من أكله، قال - ﷺ-: ((فكُّوا وَثاقَه، وأطلِقوا سراحه))، فلم يمشِ إلا عدة خطوَات حتى عاد إلى الرسول - ﷺ- فقال: يا محمد، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله، فقال له رسول الله - ﷺ-: ((لِمَ لم تَقُلْها قبل قليل؟))، فقال: لم أقلها وأنا موثق اليدين؛ لئلاَّ يقال عني: إني أسلمت مكرهًا خوفًا منك ومن أصحابك، أمَّا الآن وقد أطلقت سراحي، فإني أعلنت إسلامي؛ ليعلم الناس أني أسلمت من غير إكراه، وأني أسلمت ابتغاءَ مرضاة الله، ثم قال: لقد جئت إلى المدينة وليس أحدٌ أبغضَ عندي من محمد، وخرجت منها وليس عندي أحبّ إليَّ من محمد - .ﷺ (١٠١)

في عهد الخليفتين أبي بكر وعمر وصدر خلافة عثمان، وشمل فتح الشام والعراق ومصر وفارس، وقد حمل العرب إلى تلك الأقطار مبادئ دينهم الحنيف، الذي انتشر فيها، وأقبل أهلها على اعتناقه لسمو مبادئه وذلك طواعية واختيارا ودون إكراه من جانب العرب الفاتحين عملاً بقول القرآن ، قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ البقرة: ٢٥٦ وقوله تعالى : ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ النحل: ١٢٥

فلما أقبل كثير من أهل البلاد المفتوحة على الإسلام، نشأت الطبقة المعروفة "بطبقة الموالي " في تلك البلاد. ولا شك أن نجاح العرب في فتوحاتهم في هذا الطور الأول يرجع إلى قوة إيمانهم واتحادهم، وإلى نظرتهم العادلة إلى أهل البلاد المفتوحة، فكانوا يكتفون بالجزية من أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وحتى عندما فتحوا فارس ، أنزلوا المجوس (الزرادشتية) منزلة أهل الكتاب واكتفوا منهم بالجزية.

انتشار الثقافة الإسلامية أبلغ دليل على أن الإسلام لم ينتشر بالسيف .

إن الفتح الإسلامي كان حركة قومية، وأن الفوز فيه كان للقومية العربية لا للدين الإسلامي (١٠٢) ، أرأيت شططا في القول أبعد من هذا؟ فهل كان المسلمون الفاتحون يفكرون في القومية العربية آنذاك؟ سبحانك ربي هذا بهتان عظيم، وكل هذه الأقوال هدفها تقليل الجهد الذي بذله المسلمون في الفتوحات الإسلامية. على كل حال ما يهمنا من شرح أوضاع العرب في الشام والعراق وموقفهم من الإسلام قبل وأثناء وبعد الفتوحات، هو أن نفهم موقف الخليفة عمر بن الخطاب من تلك الفتوحات الذي هو هدفنا من هذا البحث؛ لأن هذا الموقف في حد ذاته من أقوى الأدلة على أن الإسلام لم ينتشر بالسيف، وأن الحرب لم تكن هدفا من أهداف الإسلام والمسلمين؛ وإنما كان وسيلة

---

١٠١ - رابط الموضوع: http://www.alukah.net/sharia/0/66300/#ixzz3p7r0etnI

١٠٢ - تاريخ العرب - فيليب حتى، (ص ١٩٧) نقلا عن حركة الفتوحات الإسلامية للدكتور شكري فيصل (ص ٤٥)

ضرورية لإزالة العوائق والسدود التي أقامها الفرس والروم ضد الإسلام، فلو زالت تلك العوائق لم يعد هناك مبرر للحرب أبدا، وهذا ما تصوره عمر بن الخطاب عند ما أصدر أوامره الحاسمة للقادة المسلمين بعدم مواصلة الحروب، فقد قال لسعد بن أبي وقاص- بعد انتصاره العظيم في معركة القادسية، واستقراره في المدائن عاصمة الفرس عند ما طلب الإذن بالاستمرار في الفتوحات-: «لوددت أن بين السواد وبين الجبل سدّا لا يخلصون إلينا ولا نخلص إليهم، حسبنا من الريف السواد- أي: أرض العراق- إني آثرت سلامة المسلمين على الأنفال» هذا موقف الخليفة في وضوح وحسم، رجل يعرف ما يريد ويقدر مسؤوليته عن سلامة المسلمين، التي هي عنده أفضل من الغنائم.(١٠٣)

إشكال لم أفهمه بعد، رغم يقيني أن الإسلام لم ينتشر بالسيف، وهو كون الخلفاء يرسلون المراسيل للملوك والكفار ليدعوهم للإسلام ويخيروهم بين الدخول في الإسلام أو دفع الجزية أو الحرب، ونقول إن جهاد الطلب شرع لمحاربة من يصدون عن الدعوة، فالأولى حسب فهمي أن يخيروهم بين الدخول في الإسلام أو أن يخلوا بينهم وبين الناس ليدعوهم للإسلام (لا أن يدفعوا الجزية) أو الحرب عند رفض الملوك الخيار الثاني؟) ففي جواب اللجنة الدائمة على سؤال حول مشروعية الجهاد، قالت اللجنة: شرع الله تعالى الجهاد لنشر الإسلام وتذليل العقبات التي تعترض الدعاة في سبيل الدعوة إلى الحق والأخذ على يد من تحدثه نفسه بأذى الدعاة إليه والاعتداء عليهم حتى لا تكون فتنة ويسود الأمن ويعم السلام وتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ويدخل الناس في دين الله أفواجا. اهـ.

وبهذا تعلم أن جهاد الطلب لم يشرع فقط لمحاربة من يصدون عن الدعوة، بل من أهدافه كذلك كما تقدم أن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، كما قال تعالى: هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون {التوبة:٣٣} هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الذي أمر أمراء الجيوش أن يخيروا الناس بين الدخول في الإسلام أو دفع الجزية أو الحرب هو سيد المرسلين ﷺ، ففي صحيح مسلم وغيره عن بريدة بن الحصين قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا، ثم قال: اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم.....(١٠٤).

وقد أراد بعض المستشرقين الطعن في الإسلام بحجة أنه انتشر بالسيف.

وألف المستشرق توماس أرنولد كتابه (الدعوة إلى الإسلام) يهدف منه إلى إماتة الروح الجهادية عند المسلمين، وبرهن بزعمه على أن الإسلام لم ينتشر بالسيف، وإنما انتشر بالدعوة السلمية المتبرئة من كل قوة. وقد وقع المسلمون في الفخ الذي نُصِبَ لهم، فإذا سمعوا من يتهجم على الإسلام بأنه انتشر بالسيف من المستشرقين، قالوا: أخطأتم واسمعوا الرد عليكم من بني جلدتكم، فهذا توماس يقول كذا وكذا. وخرج الانهزاميون من المسلمين يدافعون عن الإسلام، وأرادوا تبرئة الإسلام من هذه

---

١٠٣ - تاريخ الطبري - ج٤/ ٢٨ ، والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي- عبد الشافى محمد عبد اللطيف ، ج٢١٩/١-٢٢٠ ، الناشر: دار السلام – القاهرة - الطبعة: الأولى - ١٤٢٨ هـ .

١٠٤ - فتاوى الشبكة الإسلامية - لجنة الفتوى بالشبكة الإسلامية ، ج٢٠٧٨٠/١١ ، تم نسخه من الإنترنت: في ١ ذو الحجة ١٤٣٠، هـ = ١٨ نوفمبر، ٢٠٠٩ م .

الفرية على زعمهم، فنفوا أن يكون الإسلام انتشر بالسيف، ونفوا مشروعية الجهاد في الإسلام إلا على سبيل الدفاع فقط، وأما جهاد الطلب فلا وجود له عندهم. وهذا خلاف ما قرره أئمة الهدى علماء المسلمين، فضلا عن مخالفته للقرآن والسنة.(١٠٥)

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ البقرة: ٢١٦

كتب أي: فرض عليكم القتال أي: قتال المتعرضين لقتالكم، كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ البقرة: ١٩٠

فيجب على المسلمين أن لا يتملصوا من قول بعض الأوروبيين: إن الدين الإسلامي قد انتشر بالسيف! فإن هذا القول لا يضر جوهر الدين شيئا فإن المنصفين من الأوروبيين يعلمون أنه قام بالدعوة والإقناع، وأن السيف لم يجرد إلا لحماية الدعوة. وإنما التملص منه يضر المسلمين لأنه يقعدهم عن نصرة الدين بالسيف، ويقودهم إلى التخاذل والتواكل، ويحملهم على الاعتقاد بترك الوسائل فيستخذون إلى الضعف كما هي حالتهم اليوم، وتبتلعهم الأمم القوية التي جعلت شعار تمدنها السيف أو القوة..!.قال: يجب على المسلمين أن يدرسوا آيات الجهاد صباح مساء، ويطيلوا النظر في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ الأنفال: ٦٠

لعلهم يتحفزون إلى مجاراة الأمم القوية المجاهدة في الأمم الضعيفة..!. وقوله تعالى:(وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ) من الكراهة، فوضع المصدر موضع الوصف مبالغة. كقول الخنساء: (فإنما هي إقبال وإدبار كأنه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له، أو هو فعل بمعنى مفعول- كالخبز بمعنى المخبوز- أي: وهو مكروه لكم، وهذا الكره إنما حصل من حيث نفور الطبع عن القتال- لما فيه من مؤنة المال، ومشقة النفس، وخطر الروح والخوف- فلا ينافي الإيمان. لأن كراهة الطبع جبلية لا تنافي الرضاء بما كلف به. كالمريض الشارب للدواء البشع) (١٠٦).

"فالمقصود أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الله اسم جامع لكلماته التي تضمنها كتابه، وهكذا قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ الحديد: ٢٥

فالمقصود من إرسال الرسل وإنزال الكتب أن يقوم الناس بالقسط في حقوق الله وحقوق خلقه ثم قال تعالى: (وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ)

فمن عدل عن الكتاب قوم بالحديد، ولهذا كان قوام الدين بالمصحف والسيف. وقد روى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نضرب بهذا يعنى السيف من عدل عن هذا

---

١٠٥ - القسم العربي من موقع (الإسلام، سؤال وجواب) المؤلف: الموقع بإشراف الشيخ محمد صالح المنجد - حفظه الله – ج٥/٤٨٦٢ - تم نسخه من الإنترنت: في ٢٦ ذي القعدة ١٤٣٠، هـ = ١٥ نوفمبر، ٢٠٠٩ م

١٠٦ - محاسن التأويل- محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) ج٢/١٠٠ - المحقق: محمد باسل عيون السود- الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

يعنى المصحف اهـ (١٠٧).(١٠٨)

(وبعثه الله تعالى - يعني النبي ﷺ- بالكتاب الهادي، والسيف الناصر، بين يدي الساعة حتى يعبد سبحانه وحده لا شريك له، وجعل رزقه تحت ظل سيفه ورمحه. . . فإن الله سبحانه أقام دين الإسلام بالحجة والبرهان، والسيف والسنان، كلاهما في نصره أخوان شقيقان اهـ.(١٠٩)

وهذه بعض أدلة الكتاب والسنة والتي تدل دلالة بينة واضحة على أن السيف كان من أهم الأسباب التي أدت إلى انتشار الإسلام:

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ الحج: ٤٠

٢- وأمر الله تعالى بإعداد العدة لمجاهدة الكفار وتخويفهم ، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ الأنفال: ٦٠

فلو كان الإسلام لا ينتشر إلا بالدعوة السلمية فقط، فمم يخاف الكفار؟ أمن كلام يقال باللسان فقط؟ وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة) (١١٠) وهل يرعب الكفار أن يقال لهم أسلموا، فإن لم تسلموا فأنتم أحرار فيما تعتقدون وتفعلون. أم كان يرعبهم الجهاد وضرب الجزية والصغار. مما يحملهم على الدخول في الإسلام لرفع ذلك الصغار عنهم.

٣- وكان الرسول ﷺ يدعو الناس إلى الإسلام دعوة مقرونة بالسيف، ويأمر بذلك قواده، لعل الناس إذا رأوا القوة وجد المسلمين في الدعوة إلى دينهم (١١١).

قال الشيخ المراغي : (لا إكراه في الدين : أي لا إكراه في دخول الدين ؛ لأن الإيمان إذعان وخضوع ولا يكون ذلك بالإلزام والإكراه ، وإنما يكون بالحجة والبرهان .. وكفى بهذه الآية حجة

---

١٠٧ - سنن سعيد بن منصور- أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (المتوفى: ٢٢٧هـ)ج٣٨٥/٢ المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي- الناشر: الدار السلفية – الهند- الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ -١٩٨٢م.

١٠٨ - مجموع الفتاوى" لابن تيمية ، ج٢٦٣/٢٨.

١٠٩ - الفروسية" لابن القيم - ص ١٨.

١١٠ - صحيح البخاري- محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي،ج٧٤/١ ، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر- الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١١١ - القسم العربي من موقع (الإسلام، سؤال وجواب) الموقع بإشراف الشيخ محمد صالح المنجد - حفظه الله – ج٤٨٦٢/٥ - تم نسخه من الإنترنت: في ٢٦ ذي القعدة ١٤٣٠، هـ = ١٥ نوفمبر، ٢٠٠٩ م [الكتاب مرقم آليا] تنبيه: هذا الملف هو أرشيف لجميع المادة العربية بالموقع حتى تاريخ نسخه - وهذه المادة هي قسمان:١- الفتاوى (عددها ١٥٨٦٢) [وتجد رقم الفتوى في خانة الرقم، ورابطها أسفل يسار الشاشة] ٢- الكتب والمقالات ، أما بقية الأقسام، مثل (ملفات، تعرف على الإسلام، ...) فهي عبارة عن انتقاءات من قسم الفتاوى، فلم نكررها http://www.islamqa.com

على من زعم من أعداء الدين بل من أوليائه أن الإسلام ما قام إلا والسيف ناصره ، فكان يعرض على الناس ، فإن قبلوه نجوا وإن رفضوه حكم فيهم السيف حكمه .

والتاريخ شاهد على كذب هذا الافتراء ، فهل كان السيف يعمل عمله في إكراه الناس على الإسلام حين كان النبي ﷺ يصلي مستخفياً ، والمشركون يفتنون المسلمين بضروب من التعذيب ولا يجدون زاجراً حتى اضطر النبي ﷺ وصحبه إلى الهجرة ، أو كان ذلك الإكراه في المدينة بعد أن اعتز الإسلام ... أما المعهود عند النصارى إكراه الناس على الدخول في دينهم (١١٢) .

وإذا ثبت أن المسلمين رفعوا السيف واستخدموا القوة لم يرفعوه لإرغام أحد على الإسلام وإنما لإزالة العقبات من طريق الدعوة .

(١١٢) تفسير المراغي ٣٨٦/١ - ٣٨٧ ، ط. أولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .

المبحث السادس

الفتوحات الإسلامية في العهد الأموي (٤١ هـ/٦٦١ م -١٣٢ هـ/٧٥١ م)

في عصر الدولة الأموية في أواخر القرن الأول الهجري. ويمتاز هذا الطور عن سابقه، بأن العناصر المحلية أو الموالي الذين دخلوا في الإسلام، وقفوا جنباً إلى جنب مع العرب في فتوحاتهم الجديدة التي شملت أقاليم "خراسان"، "وما وراء النهر (نهرجيحون)(١١٣) "، و"حوض السند"، وبلاد "المغرب والأندلس ".

ومن المعروف كذلك أن موالي القبط اشتركوا مع العرب في قتال الروم في البحر في موقعة ذات الصواري سنة ٣٤ هـ، كما أصبح البربر بعد اعتناقهم الإسلام يشكلون الكثرة الغالبة في الجيوش الإسلامية التي فتحت الأندلس وجنوب فرنسا.

وكان هذا التعاون الوثيق بين العرب وبين العناصر المسلمة الجديدة في ظل الدولة الإسلامية، من أقوى الأسباب في مد نطاق الفتوح الإسلامية في هذا الطور الثاني الذي تضاعفت فيه رقعة الدولة الإسلامية التي امتدت من أواسط آسيا شرقاً، إلى المحيط الأطلسي غرباً، فالوحدة التي شملت جميع العناصر الإسلامية من عرب وفرس ومصريين وبربر وهنود هي السر في امتداد الدولة الإسلامية شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً ويعزى لبني أمية الفضل في توحيد الثقافة في العالم الإسلامي، إذ كانوا قد نجحوا في نشر الإسلام في رقعة واسعة من الأرض تضم شعوباً مختلفة وثقافات متنوعة. تعرضت لتأثيرات يونانية ورومانية، وسريانية وآشورية، كان من الممكن أن تسيطر على الثقافة العربية الإسلامية لولا ما اتصف به خلفاء بني أمية من إحساس عميق بالقيم الفكرية والخلقية للتراث العربي القديم والمعرفة الواسعة بالدين الإسلامي الجديد، والرغبة العارمة في أداء الواجبات الرئيسية لأمير المؤمنين والتي تتمثل في حماية الدين الإسلامي والعمل على نشره، إضافة لصفة التفتح العقلي التي اتصفوا بها، واستعدادهم الطبيعي للإفادة من خبرات الآخرين، ولذا فقد عمل الأمويون على طرح أساليب العمل، وأنشأوا المؤسسات لتتولى عملية تثبيت الإسلام ونشر اللغة العربية بين المجتمعات الإسلامية الجديدة، فأكثر الأمويون من فتح الكتاتيب العربية لتعلم الكتابة، واستدعي أعلام الفكر والأدب لعقد ندواتهم ومناظراتهم بحضور الخلفاء ومن ثم الاهتمام بالمكتبات وتنميتها، والإبقاء على المدارس الأجنبية في نصيبين وحران وعدم التعرض لنشاطها، مما ساعد تلك المد ارس على الاستمرار في أعمال الترجمة، والاستعانة بأهل البلاد المفتوحة من عرب وغيرهم للمساهمة في المجالات الحياتية الجديدة، وأعطى بنو أمية للعلوم النظرية والتطبيقية عناية متميزة، فظهرت علوم القراءات والتفسير والحديث والفقه والسير والمغازي ، وكانت العناية بتلك العلوم ملحة لتسهم في استقرار البلاد الإسلامية وذلك بغرض تعميق تمسكها بالدين الإسلامي، وإتقانها العربية، لغة القرآن الكريم.(١١٤)

ومن الجدير بالذكر أنه توفرت في الدولة الأموية كل العوامل التي تساعد على قيام مراكز ثقافية تعنى بالنشاط العلمي ، فكانت البصرة والكوفة علاوة على دمشق ، العاصمة، نقاط التقاء الثقافات

---

١١٣ - آمو داريا أو جيحون نهر آسيوي يبلغ طوله ٢٥٢٥ كيلومتر، عرف قديما باسم "أوكسوس" ولدى العرب باسم جيحون يتكون من التقاء نهري فخش وباندج الذين ينبعان من جبال بامير في آسيا الوسطى، عبره الفاتح قتيبة بن مسلم بجيشه إبان الفتوحات الإسلامية. وقد عرف النهر بالحد الفاصل بين كل من أفغانستان وطاجكستان ، وأوزبكستان ، و يصب في الساحل الجنوبي لبحر أرال حيث يتشكل عند مصبه فيه دلتا يبلغ طولها ١٤٥ كم و أهم الروافد التي تأتيه من الشمال فاكش ، كافيرني غان ، سرخان أما روافده من الجنوب فهو نهر كوندوز. (https://ar.wikipedia.org/wiki)

١١٤ - موقع دراسات وأبحاث http://www.landcivi.com/new_page_384.htm

وتقاطر أهل العلم والمعرفة من مختلف البلدان والأمصار عليها للدراسة.

لقد كانت جهود بني أمية واضحة في انكفائهم لتشجيع العلوم ورعايتهم لحركة الترجمة،- وتمثل ذلك- بجهود خالد بن يزيد، حكيم بني أمية/ الذي اشتغل والراهب ماريانوس في ترجمة العديد من الكتب اليونانية، ومثله فعل ماسرجويه في عهد مروان بن الحكم، ٦٤ هـ/ ٦٨٣ م الذي ترجم كتاب أهرن بن أعين الطبي، وسرجون بن منصور، وطبيب الحجاج ثاوذون.

لقد كان للأمويين فضل الريادة في الاتجاه نحو ثقافات الشعوب التي انتشر بينها الإسلام، وعملوا على استيعاب تلك الثقافات، وتعاملوا بمهارة مع المشكلات والعقبات التي اعترضت عملية النقل والتفسير من تلك الثقافات ووضعوا الحلول المناسبة لها ، فما كان على بني العباس، إلا الاستمرار على المنهج والنسق الذي ابتداه الأمويون.(١١٥).

المبحث السابع

الفتوحات الإسلامية في العهد العباسي ١٣٢ هـ/ ٧٥٠ م -٦٥٦ هـ/٢٥٨ م

قامت بعد ذلك الدولة العباسية على أنقاض الدولة الأموية سنة ١٣٢ هـ (٧٥٠ م)، وامتد حكمها خمسة قرون إلى أن سقطت على أيدي المغول أو التتار بزعامة هولاكو) حفيد جنكيز خان " سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) . وعلى الرغم من أن الأسرة العباسية الحاكمة كانت أسرة عربية هاشمية، تنحدر من سلالة العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ إلا أنها اعتمدت على "الموالي" أي على الشعوب التي دخلت في الإسلام. ولذلك لهم ينظر العباسيون إلى جنس معين من رعاياهم يتعصبون له على نحو تعصب الأمويين للعرب، بل نظروا إلى الشعوب التي تتألف منها الأمة الإسلامية نظرة واحدة مع اختلاف أجناسهم وألوانهم ، عملاً بمبدأ المساواة الذي ينص عليه ا لإسلام في قوله تعالى " ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ الحجرات: ١٣

وبهذه السياسة وهذه النظرة إلى الشعوب الإسلامية، تقاربت الأعراق الإسلامية، وتداخلت بالزواج المختلط أو التوليد، ونشأ عن هذا الاختلاط جيل جديد من المولدين، وأصبحت الدولة الإسلامية وكأنها وطن لأمة واحدة لا لشعوب مختلفة، تدين بدين واحد، وتتكلم لغة واحدة (١١٦).

وقد اتجهت سياسة الدولة العباسية- منذ البداية- إلى المشرق، وكان هذا سر نجاحها، فاتخذت من بغداد عاصمة لها بدلا من دمشق، رغم أن هذا التوجه قد أسفر عن ضعف نفوذها في الأطراف الغربية التي أخذت تنسلخ تباعاً، فاستقلت الأندلس على يد "صقر قريش،" عبد الرحمن الداخل الأموي سنة ١٣٧ هـ/ ٧٥٥ م، كما استقل المغرب الأقصى على يد الأدارسة العلويين " سنة ١٧٢ هـ ٧٨٨ م، والمغرب الأوسط على يد "بني رستم الخوارج الإباضية" سنة ١٣٨ هـ/ ٧٥٥ م، و اكتفى العباسيون- إزاء هذا- بإقامة دولة حاجزة موالية لهم في المغرب الأدنى هي "دولة الأغالبة". والتي امتد حكمها من سنة ٨٤ اهـ/ ٨٠٠ م- ٢٩٦ هـ/ ٩٠٩ م . وقد استطاعت هذه

١١٥ - موقع دراسات وأبحاث http://www.landcivi.com/new_page_384.htm

١١٦ - موقع دراسات وأبحاث http://www.landcivi.com/new_page_384.htm

الدولة الأغلبية المجاهدة أن تحقق إنجازاً حربياً كبيراً ، بفتح جزيرة صقلية على يد القائد المسلم الفارسي "أسد بن الفرات "في عهد زيادة الله الأول الأغلبي سنة ٣ ٣١ هـ (٨٣٨ م)، ثم فتح جزيرة مالطة التي تقع بين صقلية وأفريقيا فى عهد!محمد الأغلبي " المدعو بأبي الغرانيق وذلك سنة ٣٥٦ هـ (٨٧٠ م). غير أن نفوذ العباسيين وإن كان قد ضعف وزال في المغرب والأندلس، إلا أنه قوي في المشرق- فابن الأثير فى كتابه الكامل في التاريخ يشير في حوادث سنة ١٣٣ هـ إلى أن جيوش أبي مسلم الخراساني ، استطاعت أن تهزم في موقعة نهر طراز الجيوش الصينية التي أخذت تتدخل في بلاد تركستان بأواسط أسيا. ويبدو أن هذا هو أول ذكر للاحتكاك الحربي بين المسلمين والصين في المراجع ا لإسلامية. ومنذ ذلك الوقت نلاحظ أن الحضارة الإسلامية أخذت تسود بلاد أواسط أسيا بعد أن أزاحت عنها الوجود الصيني. كذلك قامت في الأطراف الشرقية للدولة العباسية، دول إسلامية عريقة عملت على نشر الإسلام هناك باسم الخلافة العباسية.(١١٧) .

الصورة الحضارية للفتوحات الإسلامية .

إن الفتوحات الإسلامية وقعت خارقة للعادة، بحيث لم يقع قبلها ولا بعدها نظيرها، وهذا يدل على عناية الرب – تعالى – بذلك، وعلى تأييده لمن جاء بهذه الشريعة بأمر سمائي، لا من قبيل قوة البشر وتغلبات الملوك.

وذلك يعرف بوجوه:

منها : قلة من قام به في أول الأمر، وضعفهم وقوة عدوهم وكونهم في غاية الكثرة ونهاية الحنق عليهم والبغض لهم، والجد في عداوتهم بكل ممكن، فأيدهم الله عليهم وأظهرهم، فدل على أن هذا النصر من السماء.(١١٨)

ومنها: أن أعداءه مع كون حالهم ما وصفناه، كانوا على أديان وجدوا عليها آباءهم، ونشأوا عليها، وألفتها طباعهم، وكان النبي – ﷺ- يدعوهم إلى تركها، وأن يتبعوا ما جاء به من الشريعة والمنهاج. وكان أول من دعا إلى ذلك العرب الذين هم أقوى الناس نفوسا، وأقساهم قلوبا، وأشدهم توحشا، وأمنعهم جانبا، وأحبهم لأن يغلبوا، ولا يغلبوا، وأعسرهم انقيادا للملوك، وأجفاهم أخلاقا، وأقلهم احتمالا للضيم والذلة، فما كانوا ليجيبوا إلى ما طلبه منهم إلا لما رأوه من الآيات وشاهدوه من المعجزات الدالة على أنه رسول الله، أو بأمر خارق للعادة، ليس من صنع البشر، فكان معجزا، فدل على أنه من عند الله.

ومنها: أن تلك الفتوحات وقعت في مدة قريبة، ففتحت على رسول الله – ﷺ- جزيرة العرب كلها إلى ما يليها من أرض الشام في مدة عشر سنين، فدخلوا في طاعته، والتزموا دينه، وتركوا أديانهم، سوى من قبلت منه الجزية والصغار، وهذا ما لم يعهد له نظير. وكذلك الفتوحات الواقعة في أيام خلفائه الراشدين في المشارق والمغارب، كان ذلك في أقرب مدة، وكانت أعداؤهم في غاية الكثرة والشجاعة، والقوة والنجدة، ولم يكن للمسلمين إذ ذاك من العدد والعدة والقوة ما يكون له نسبة بجنب ما عند أعدائهم من ذلك، فكيف بما كافأتهم؟ فلا يرتاب عاقل أن ما أعطوه من الظهور والغلبة

---

١١٧ - موقع ww.landcivi.com/new_page_384.htm

١١٨ - منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب - عبد العزيز بن حمد بن ناصر بن عثمان آل معمر (المتوفى: ١٢٤٤هـ) ج٢/٦٠٢ .

ليس إلا بالنصر الإلهي والتأييد السمائي، الخارق للعوائد، الدال على صدق من جاء بهذه الشريعة، وأنها مرضية لله.(١١٩) . في أثناء الفتوحات الإسلامية الواسعة دخلت على المسلمين اصطلاحات أجنبية بواسطة الكتب اليونانية التي ترجمت إلى اللغة العربية في عدة علوم ومن أخطرها علم المنطق والفلسفة، فدخلت تلكم البحوث والاصطلاحات في الإلهيات، فأفسدت على الناس جوانب خطيرة من عقيدتهم لأنها وجدت تشجيعاً رسمياً ودعماً قوياً من الخلفاء المعاصرين وفي مقدمتهم المأمون العباسي الذي تعرفون موقفه من كبار علماء المسلمين والأئمة البارزين كالإمام أحمد بن حنبل، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في صدد حديثه عن موقف المأمون:" ما أظن الله غافلاً عما فعل المأمون بعقيدة المسلمين ".(١٢٠)

١١٩ - المصدر السابق: ج٦٠٢/٢ .

١٢٠ - تصحيح المفاهيم في جوانب العقيدة (السنة الحادية عشرة، العدد الثاني) أبو أحمد محمد أمان بن علي جامي علي (المتوفى: ١٤١٥هـ) ج١٠١/١ ، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - الطبعة: السنة الحادية عشرة، العدد الثاني غرة ذي الحجة عام ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.